

الفصل الثالث عشر

تأريخ الجزيرة القديمة

ليس من السهل بقاء العاديات ، التي تتألف من مواد متزلية وأدوات ضرورية لحياة الانسان ، مدة طويلة في أرضين مكشوفة سهلية ، وفي مناطق صحراوية لا حماية فيها لتلك الأشياء . وليس من السهل أيضاً احتفاظ مثل هذه التربة بجدث الإنسان وبمعظم الحيوان أمداً طويلاً . وهي معرضة لحرارة شديدة قاسية ولرياح عاصفة قاسية . ولهذا لا يطمع الباحثون في الحصول على كنوز غنية من المناطق السهلة المكشوفة التي تغلب عليها الطبيعة الصحراوية والتي تؤلف أكبر قسم من جزيرة العرب .

ومن هنا سيتجه أمل الباحثين عن الآثار الى الأودية التي تتوافر فيها الوسائل الكفيلة بنشوء المجتمعات على اختلاف أشكالها ، والى السهول التي تبعث النهرات والينابيع والآبار الحياة فيها ، والى الهضاب والجبال حيث توجد المياه وتتساقط الأمطار وتتوافر الكهوف والصخور، وهي من العوامل المساعدة على نشوء الحضارة وحفظ الآثار ، للاستفادة منها في الحصول على آثار نحدثنا عن تأريخ جزيرة العرب في آلاف السنين الماضية قبل الميلاد .

وليس في استطاعتنا في الزمن الحاضر التحدث عن جزيرة العرب في العصور الجليدية ، لعدم وجود بحوث علمية عن هذه العصور في هذه البلاد . كذلك لا نستطيع أن نتحدث عن بلاد العرب في العهود الحجرية ، لعدم وجود موارد

كافية تساعدنا في الكشف عنها كشفاً علمياً . نعم ، عثر على أدوات حجرية في موضع يقال له (الدوادمي) (Dawadmi) ، وهو يبعد (٣٧٥) ميلاً عن الخليج ، عثر عليها مدفونة في الأرض ، وكان بينها فأس طولها سبع عقد ونصف عقدة ، ولها لون يميل الى الخضرة ^١ ، وعثر على أدوات حجرية أخرى في أنحاء من جزيرة العرب ، وفي جملتها الأحساء وحضرموت ، ولكن ما عثر عليه ما زال قليلاً ، لا يمكن أن يعطينا رأياً واضحاً علمياً في تلك العهود في هذه البلاد .

وقد تبين من فحص الأدوات الحجرية التي عثر عليها في الأحساء أنها تتكون من أحجار لا توجد في العروض، وبينها أحجار بركانية أو من حجارة (الكوارتز)، ومن أنواع أخرى من الصخور ، لهذا رأى فاحصوها أنها أدوات استوردت من العربية الغربية . كما تبين من فحص الأدوات الحجرية التي عثر عليها في اليمن وفي حضرموت أنها من النوع المستورد من فلسطين أو من بلاد الشام ، لأنها تشبه الأدوات الحجرية التي عثر عليها هناك ^٢ .

أما الأدوات الحجرية التي عثر عليها في مواضع من حضرموت ، فليست بحكمة دقيقة الصنعة ، بالقياس الى ما عثر عليه في فلسطين أو في بلاد الشام أو في إفريقية ، وقد عزا بعضهم ذلك الى طبيعة أحجار هذه المنطقة ، وعزاه آخرون الى تأخر حضارة أهل حضرموت في ذلك العهد بالقياس الى الحضارات الأخرى ^٣ . ورأى بعض الباحثين أن أرض حضرموت كانت في عزلة عن البلاد المتقدمة في الشمال ، وأن صلاتها بإفريقية كانت أقوى من صلاتها بشمال جزيرة العرب وبالهلال الخصيب وبحضارة البحر المتوسط ، ولذلك صارت الأدوات التي عثر عليها بدائية بعض الشيء بالقياس الى ما عثر عليه في أعالي جزيرة العرب، حيث كان الاتصال وثيقاً بالحضارات المتقدمة .

ومن الأدلة التي تثبت ان اتصال حضرموت بالسواحل الافريقية المقابلة كان

١ P. B. Cornwall, Ancient Arabia, Explorations in Hasa, 1940-1941, P. 39, in Geogra. Journ. CVII, Febr. 1946.

٢ Geogr. Journal, Vol. XCIII, No. I, January, 1939, PP. 30.

٣ Geogr. Journal, Vol. XCIII, No. I, January, 1939, "An Exploration in the Hadhramaut and Journey to the Coast" By, Freya Stark.

قوياً ووثيقاً في العصور الـ (الباليوليثية) ، هو عثور المنتقنين على فؤوس يدوية في حضرموت تعد من صميم الصناعات التي ظهرت في تلك الأنحاء من افريقية . ووجودها في حضرموت وعثور المنتقنين على أدوات أخرى هي من صناعات افريقية ، دليل على شدة العلاقات ومبلغ توثقها بين افريقية والسواحل العربية الجنوبية ^١ .

ويظن ان الزجاج البركاني ، المتكون من فعل البراكين (Obsidian) المتخذ أشكالاً هندسية ، مثلثاً أو هلالاً أو مربعاً ، الذي يعود الى الدور المعروف عند علماء الآثار بدور صناعات النصل (Blade Industries) ، والذي عثر على نماذج منه في حضرموت ، هو من المستوردات التي يرجع أصلها إلى سواحل افريقية الشرقية . وقد كانت هذه الصناعة مزدهرة في حوض البحر المتوسط وفي أوروبا قبل الألف الثالثة قبل الميلاد . أما في العربية الجنوبية ، فيعود عهدها الى الألف قبل الميلاد ^٢ .

واكتشفت أدوات من العصور الحجرية في (الحملة) ورأس (عوينات علي) (عوينت علي) وجنوب (دخان) من (قطر) ، منها فؤوس ومقاشر ونبال وكميات من حجر الصوان . وهذه الصخور هي من العصور (الباليوليثية) و (النيوليثية) ^٣ .

وعثر في مواضع متفرقة أخرى من جزيرة العرب على أدوات من عهود مختلفة قبل التاريخ ، عثر على أكثرها في مواضع شتى تقع عند الأودية والطرق والمواضع التي تتوافر فيها وسائل الحياة . وسيكون لبحث من يأتي بعدي فيقوم بوضع خارطة أو مخطط للمواضع التي عثر فيها على آلات وأدوات مما قبل التاريخ شأن كبير . ولا شك في الكشف عن مواضع السكنى والحضارة في بلاد العرب قبل التاريخ، وفي الكشف عن نظرية تغير الجو في جزيرة العرب ونظرية الهجرات وارتحال السكان من مكان الى مكان .

B.R. 527, (Restricted), Geographical Handbook Series for Official use only, Western Arabia and the Red Sea, June, 1946, Naval Intelligence Division.

وسيكون رمزه : Naval

Naval ٢

٣ تقرير شامل عن الحفريات الاثرية في جزيرة « فيلكا » ، ١٩٥٨ - ١٩٦٣ م ، الكويت (ص ٢٤) .

وعثر على آثار متنوعة من العصور الـ (الباليوليثية) (Palaolithikum)
(Palaeolithic) والـ (النيوليثية) (Neolithikum) (Neolithic) في الكويت
والبحرين وحضرموت ومواقع أخرى من العربية الجنوبية واليمن . وقد ذهب
(فيلد) (H. Field) إلى أن اليمن وعدن كانتا مأهولتين بالسكان في العصور
(النيوليثية) ، ثم هاجر قسم من الناس إلى عمان والخليج ، وهاجر قسم آخر
بطريق باب المندب إلى الصومال و (كينيا) (Kenya) و (وتنجانيقا) ،
وهاجر فريق آخر بطريق مأرب ونجران إلى شبه جزيرة سيناء وفلسطين
والأردن^١ .

وعثر على آثار من العصور المذكورة في مواقع من المملكة العربية السعودية
تمتد من الأحساء (الهفوف) إلى الحجاز ، ومن مدائن صالح إلى نجران . وقد
عثر على أدوات حجرية في (تل الهبر) . وقد كان الصيادون في عصور
ما قبل التاريخ يتنقلون باتجاه الأودية من مكان إلى مكان حيث كانت الأحوال
فيها خير مما عليه الآن . وقد ترك هؤلاء الصيادون ثم الرعاة بعض الآثار في
الأمكنة التي حلّوا بها ما برح السياح وخبراء شركة (أرمكو) وغيرهم يعثرون
على قسم منها بين الحين والحين^٢ .

ووجدت في (كلوة) (Kelwa) التي تقع على سفح (جبل الطبق)
آثار من العهود (الباليوثيكية) القديمة : (Chelléen) والـ (Acheuléen)
والـ (Levalloisien) . وقد قدر بعض الباحثين تأريخ السكنى في هذا الموقع
إلى الألف الثامنة قبل الميلاد . وقد اكتشف هذا الموقع (هورسفيلد) (G. Horsfield)
و (كلويك) (N. Glueck) ، فوجد آثاراً وصوراً على الصخور ، قدّر أنها
ترجع إلى آلاف من السنين قبل الميلاد من مختلف العصور^٣ .

وعثر على كهوف وقد صورت على جدرانها صور حيوانات وصور الشمس ،

١ A. Grohmann, Arabien, S. 15, H. Field, Papers of the Peabody Museum, 48/2 (1956), PP. 117.

٢ H. Field, Papers, 48/2 (1956), 63, A. Grohmann, Arabien, S. 15.

٣ N. Glueck, The other Side of the Jordan, New Haven, Con. 1940, PP. 43, H. Rothert, Transjordanien, Vorgeschichtliche Forschungen, Stuttgart, 1938, S. 161, A. Grohmann, Arabien, S. 16.

والهلال ، وذلك على طريق التجارة القديمة في العربية الجنوبية ، بين وادي يبعث ووادي عرمة . وهي تشبه في أهميتها من دراسة الناحية الأثرية ، الصور المتقدمة التي عثر عليها في (كلوة) في الأردن^١ .



فأس من الحجر تعود الى عصر الـ « PaIaeolithic » ، المتأخر ، عثر عليها في « دوايمي » .
صنعت هذه الصورة من صورة نشرت في مجلة : « The Geographical journal »
جزء شباط سنة ١٩٤٦ أرسلها لي صديقي الدكتور جورج ماثيوس من الظهران

وقد ذهب بعض الباحثين الى أن جزيرة البحرين كانت مأهولة بالناس أيام العصور الجليدية المتأخرة في أوروبة ، أي قبل خمسين ألف سنة ، وأن ساحل الخليج ، ولا سيما المنطقة الواقعة بين (الدوامي) وشمال القطيف ، كان مزدحماً

بالسكان في العصور البرنزية ، أي حوالي (٣٠٠٠ - ٢٥٠٠ ق.م) ، كما عثر على أدوات من العصور (الباليوثيكية) في موضع (رأس عوينت علي) (عوينات علي) في شبه جزيرة (قطر)^١ .

وقد ذهبوا أيضاً الى أن جوّ البحرين آنذاك - أي أيام العصور الجليدية - كان يشبه جوّ بلاد اليونان في الوقت الحاضر . وأن أرض البحرين كانت مخصصة خضراء ، مغطاة بكساء من الغابات . ولعلها كانت متصلة إذ ذاك بالأرض الأم - أرض جزيرة العرب - أما سكانها فقوم من الصيادين . عاشوا على ما يقتنصونه من حيوانات ، وفي مقدمتها الأسماك . وقد عثر على أدوات من حجر الصوان ، استخدمها أولئك الصيادون في صيدهم وفي تقطيع لحوم الفرائس التي يوقعها سوء حظها في أيديهم . عثر عليها في مواضع متعددة من البحرين ، وبعدد كبير أحياناً ، مما يدل على أن تلك الأماكن كانت مستوطنة أهلة بالناس .

وليس في هذه الأدوات الصوانية ما يشير الى أصل أصحابها ، أو الى أسمائهم وأسماء المواضع التي كانوا فيها . وكل ما يستفاد منها أنها من أواسط العصور (الباليوثيكية) (Paleolithic) ، وذلك بدليل مشابهتها لأدوات من الصوان ترجع الى هذا العهد عثر عليها في شمال العراق وفي فلسطين في شمال غربي الهند^٢ .

وقد عثر في البحرين أيضاً على عدد من رؤوس حراپ وسكاكين صنعت من الصخور الصوانية . قدّر بعض الباحثين عمرها يتراوح بين عشرة آلاف واثني عشر ألف سنة . وهي ترجع الى أواخر أيام الرعي وابتداء عهد الاستيطان والاستقرار والاشتغال بالزراعة . وبين ما عثر عليه من هذه الأدوات ، أحجار سنت وشذبت لكي تكون بمثابة آلات لحصد المزروعات ولقطع الحشائش واجتثاثها من الأرض^٣ .

وفي العربية الغربية والعربية الجنوبية جبال ترصعها كهوف ، اتخذها الانسان

P.B. Cornwall, Ancient Arabia: Explorations in Hasa, 1940-1941, A. Grohmann, 1
Arablen, S. 255.

وسيكون رمزه : Arablen

James H.D. Belgrave, Welcome to Bahrain, London, 1965, PP. 50. ٢

٣ المصدر نفسه ، (ص ٥١) .

مساكن له ، فأقام فيها قبل الميلاد بأمد طويل ، لا نستطيع تقدير زمانه، واتخذ بعضها معابد ومواقع مقدسة ، وأماكن للخلوة والتأمل الروحي والعبادة، وبعضها مقابر يودع فيها أجداث آبائه وأجداده وأهله ، ولكن أكثر هذه الكهوف قد عبث بها الزمن ، وعبثت بها أيدي الإنسان ، أكثر من عبث الطبيعة بها ، فانتزعت منها ما نبعث الآن عنه من بقايا عظام وتركات سكنى ، وآثار فن ، فحرمتنا بذلك الوقوف على حياة الإنسان في جزيرة العرب في تلك الأيام .

وقد أشار الكتبة (الكلاسيكيون) الى سكان الكهوف في بلاد العرب. وعثر السياح على بقايا تلك الكهوف التي كانت منازل ومساكن أهلة بالناس. ولا يزال الناس يسكنون الكهوف في حضرموت وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب^١ . وقد يكون من بينها كهوفاً كانت منازل الأجساد النازلين بها اليوم منذ آلاف من السنين .

ولما كانت زيارات السياح لهذه الكهوف زيارات سريعة خاطفة ، لم يتعمق السائحون فيها في داخل الكهف ، ولم تتناول ما على جدر الكهوف من رسوم أو زخارف، وقد يأتي يوم بعثر فيه الباحثون على كنوز من فن سكان الكهوف، ومن مخلفات لهم وعظام تكدست تحت أطباق الثرى ، نستخرج منها وصفاً لحياة الانسان في تلك المناطق من جزيرة العرب ، وقد نفيدنا في دراسة الصلوات والعلاقات التي كانت بين أهل الجزيرة وبين بقية أنحاء العالم في تلك العهود السحيقة .

فيثبتن من هذه الآثار القليلة ان بلاد العرب كانت مأهولة بالناس منذ العصور (الباليوئية) (Palaeolithic) ، أي العهود الحجرية المتقدمة ، وان من أقدم الآثار التي عثر عليها آثاراً من أيام العصور المعروفة بـ (Chellian) بين علماء الآثار ، أي الأدوار الأولى من أدوار حضارة العصر الحجري ، وانه قد عثر على أدوات من الصوان في الربع الخالي وفي حضرموت من عهد الـ (Neolithic) والعصور (البرنزية). وعثر على أدوات من الصوان من عصور الـ (Chalcolithic) هي من النوع الذي عثر عليه في جنوب فلسطين^٢ .

Van der Meulen, Aden to the Hadhramaut, P. 120, 200, 203. ١

Naval. P. 213. ٢

ولم يوفق الباحثون للعثور على هياكل كاملة لإنسان ما قبل التاريخ ، لا في جزيرة العرب ولا في (سيناء)^١ . وللعثور عليها أهمية كبيرة بالنسبة الى البحث في تأريخ ظهور الإنسان وتطوره ، للوقوف على الزمن الذي عاش فيه في بلاد العرب .

والجراحم والعظام مادة مفيدة جداً في دراسة التاريخ ، ولكن الباحثين لما يتمكنوا من الحصول على مقدار كاف منها يكون عندهم فكرة علمية عن العصور التي ترجع اليها وعن أشكال أصحابها . وقد عثر رجال شركة (أرمكو) للبحث عن البترول في العربية السعودية على بقايا عظام وأسنان لبعض الحيوانات (الحلمية) (Mastodon) وعلى قسم من جمجمة حيوان قديم في موضع يبعد تسعين ميلاً إلى الغرب من (الدمام) ووجد مثل هذه البقايا الحيوانية في أنحاء أخرى من جزيرة العرب ، ولكن ما عثر عليه لا يزال قليلاً ، لا يكفي لاعطاء آراء علمية عن الحياة في جزيرة العرب في التاريخ القديم^٢ .

وقد تعرضت تلك المقابر لعبث الطبيعة ولعبث الطامعين بما فيها من أشياء ثمينة ، لذلك أصاب أجسام الموتى التلف ، ولم يبق منها غير بقايا من جسم ، إلا ما كان من مقابر البحرين ، فقد أعطت الباحثين هيكلين كاملين لم يصبها أي سوء أو تلف . فقد تبين من فحصها ان أهل الميت وضعوا جسي الميتين على الجانب الأيمن ووجهوا الوجهين نحو المشرق ، وأمدوا رجلي الميتين . ويبعث وضع الميتين على هذه الصورة الاحتمال بأن أهل البحرين كانوا يتبعون هذه العادة في دفن موتاهم ، وهي عادة كانت عند أهل العراق أيضاً ، في الألف الثالثة قبل الميلاد^٣ .

وقد عثر في مواضع من جزيرة العرب على مقابر تبين انها من نوع المقابر التي يقال لها (تمولي) (Tumuli) ، التي عثر عليها في البحرين في نهاية القرن التاسع عشر . أما مقابر البحرين ، فهي تلال تكونت من قطع من الصخور ، وضع بعضها فوق بعض ، لتكون غرفة أو غرفتين ، تكون احدهما فوق الأخرى في الغالب ، لتتخذ قبراً يوضع فيه الموتى ، وتكون سقفوف الغرف من ألواح

Naval. P. 213.

١

Cornwall, Ancient. P. 39.

٢

James H.D. Belgrave, P. 52.

٣

الصخور . وبعد اغلاق باب القبر يهال التراب على الصخور ، حتى تتخذ شكل تلال . وقد عثر على بقايا خشب فيها ، مما يدل على استعمال الخشب في بناء هذه القبور التي يصل قاعدة بعضها الى حوالي خمسين ياردة في العرض وحوالي ثمانين قدماً في الارتفاع . ويقدر الباحثون الذين بحثوا عن هذه المقابر عددها بزهاء خمسين ألف تل ، وبزهاء (١٠٠) ألف تل في تقدير بعض آخر ، أي خمسين ألف قبر أو (١٠٠) ألف قبر . قبر فيها الإنسان والحيوان جنباً الى جنب ، كما يتبين ذلك من بقياس العظام التي عثر عليها فيها . والغالب أنهم دفنوا الحيوان مع الإنسان ، ليستفيد منه الميت في العالم الثاني في عقيدة أهلها يومئذ ، وكما نجد ذلك في اعتقاد المصريين واعتقاد غيرهم من الشعوب ، ولهذا دفنوا مع الموتى أواني وأدوات بيتية وحلياً وجواهر وفخاراً وغير ذلك مما يحتاج اليه الإنسان ^٢ .

وقد عثر في هذه المقابر على عدد من الجرار ، تشبه الجرار المستعملة في الوقت الحاضر ، مما يدل على أن الناس في الوقت الحاضر لا يزالون يسبرون على سيرة أجدادهم الذين عاشوا قبل الميلاد في عمل الجرار وسائر الخزف . وقد صنعت تلك الجرار من الطين ، وضعه الخزاف على قرص دولاب يديره برجليه . واستعمل يديه في اكساب الطين شكل الجرة التي يريدتها . ويميل لون هذه الجرار الى الحمرة . كما عثر على قشور بيض النعام ، وقد قطعت بصورة تجعلها كأساً يشرب بها . وعثر على أدوات أخرى، وكل ما عثر عليه غير مكتوب ولا مؤرخ ، لذلك لا نعرف من أمره اليوم ولا من أمر أصحابه شيئاً ^٣ .

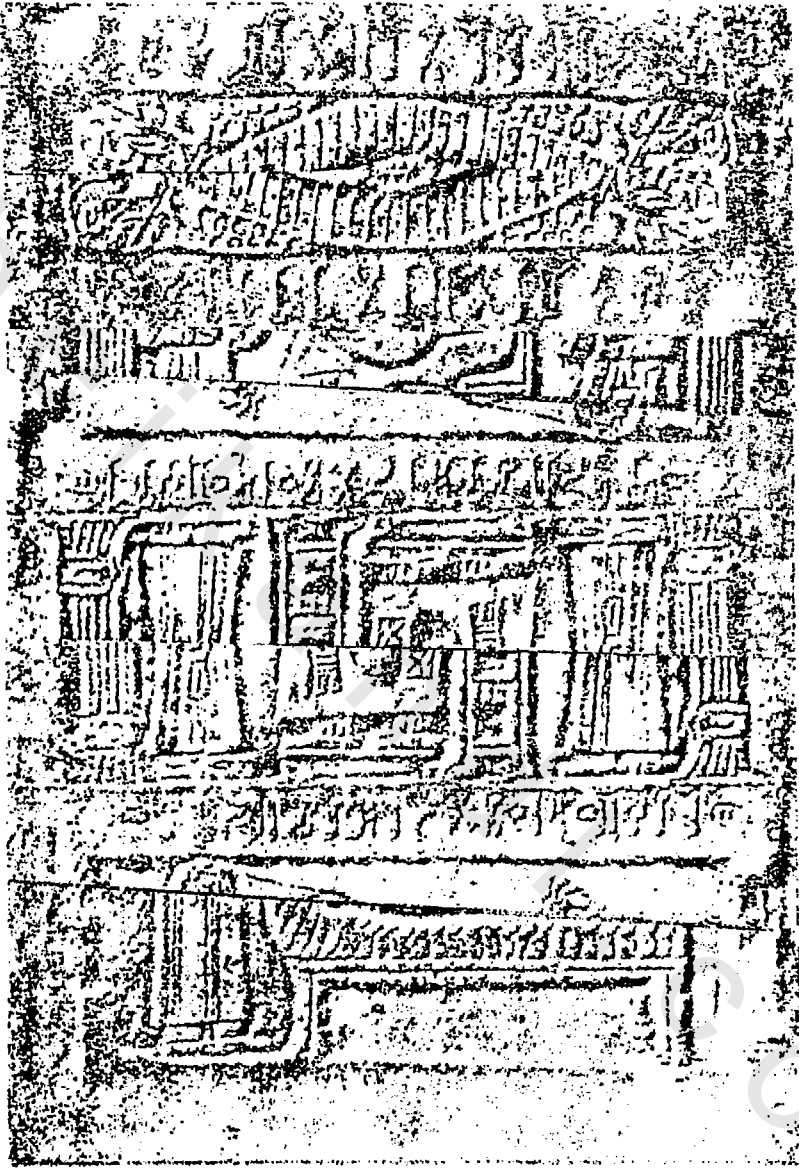
وعثر رجال شركة (أرمكو) على عدد كبير من هذه المقابر على حافات جبل (المذرى) الشمالي ، قدرها (كورنول) بالألوف ، وعثروا كذلك على عدد آخر من هذه المقابر في جبل (المذرى) الجنوبي ^٤ . وقد حافظت بعض

J.H.D. Belgrave, Welcome to Bahrain, P. 51.

Bent, The Bahrain Islands, Proc. Roy. Geogr. Soc. 12, London, 1890, Jouannin, A, "Les Tumuli des Bahrain", Memoirs de la Delegation in Perse, T., VIII, 1905, V., 149-157, Prideaux, F.B., The Sepulchral Tumuli of Bahrain, Archaeological Survey of India, Annual Rep. 1908-1909, Calcutta, Sanger, The Arabian Peninsula, P. 141.

Belgrave, P. 52. ٣

Cornwall, P. 36. ٤



حجر يظهر أنه من الأحجار التي توضع كشاهد على القبور يمثل صورة امرأة يقال لها :
 « خللت بنت ممدت » ويقال للبنت في المصرية الجنوبية « بت » أيضاً . وقد توسلت الى
 الإله « حشتر » بانزال الويل واليبور على من يتجاسر فيغير هذا الحجر عن موضعه .

هذه القبور على أشكالها محافظة جيدة ، ويشبه بعضها القبور التي عثر عليها (فلي) في الأقسام الجنوبية الغربية من جزيرة العرب^١ . ووجد (كورنول) مقابر أخرى في موضع (الرديف) الواقع على بعد (١١٠) أميال من شمال غربي (الدمام) ، وفي موضع يقع شمال (عين السبح) ، بمسافة أربعة أميال ، حيث بلغ قطر أحد تلك المقابر (٣٣) ياردة وارتفاعه (١٣) قدماً . وقد تمكن من الحصول على هيكل عظمي وعلى فخار وقطع من العاج وقشور بيض للنعام وأسلحة مصنوعة من البرنز^٢ .

وعثر على مقابر في موضع (المويه) الواقع على (١٤٣) ميلاً من شمال شرقي مكة^٣ . وقد وصف (فلي) المقابر التي عثر عليها في (الرويق) وفي مرتفعات (العلم الأبيض) و (العلم الأسود) ، فقال : إن أكثرها قد عث به العاشون ، فأخذوا ما كان داخل الغرف التي كان يوضع فيها الموتى من ذخائر ومواد ، وهي مختلفة الأحجام والارتفاع . ويظهر من وجود هذه المقابر في محال صحراوية بعيدة عن مواضع العمران وفي أماكن لا يقيم فيها الناس ، أن هذه المناطق كانت مأهولة قبل الإسلام ، وأنها كانت ذات تأريخ قديم جداً ، ربما يرجع في رأي (فلي) إلى أيام قدماء (الفينيقيين) وربما كان (الفينيقيون) في رأي (فلي) أيضاً من الأفلاج والخرج ، حيث هاجروا بعدئذ إلى البحرين^٤ . وقد سمع (فلي) بوجود مقابر أخرى من هذا النوع ، تعرف بين الناس باسم (الخشبة) . وسمع (Thesiger) بمقابر أخرى في موضع (رهلة جهمين)^٥ . وعثرت شركة (أرمكو) على مقابر عادية كثيرة العدد في (وادي الفاو) و (القرية) ، لم تحدد هوية أصحابها حتى الآن . وقد زارها (فلي) ووصفها ، وتبين له أن الموضع وهو (القرية) ، كان محاطاً بسور ، وجد في داخله آثار بيوت ومقابر ، وبين أنقاض المقابر أحجار مكتوبة تدل على أنها كانت شواهد قبور . وعلى مسافة من (القرية) كتابات وصور حيوانات مثل النعامة والأيل ، وصور أناس نقشت على الصخر^٦ .

Cornwall. P. 36, Philby Sheba's, P. 373.	١
Cornwall, P. 37.	٢
Philby. Sheba's. P. 373.	٣
Philby, Sheba's. P. 373.	٤
Beitrag, S. 16.	٥
Beitrag, S. 12.	٦

ويظهر من وصف (جيرالد دي كوري) (Gerald de Gaury) (وفلي)
لمقابر الخرج أنها كثيرة العدد ، وأنها في مواضع متعددة من هذه الإمالة عند
(فرزان) و (السلمية) و (اللم) ، وهي متفاوتة الأحجام والارتفاع^١ .
ولم يتمكن (دي كوري) من تعيين تأريخها ، ولا يمكن التثبت من ذلك بالطبع
إلا بعد القيام بحفريات دقيقة وفحوص للعظام ولحتويات القبور لمعرفة مكانها في
التأريخ .

وقد وجد أن أبواب مقابر البحرين قد وضعت في الجهة الغربية ، مما يبعث
على الظن على أن لهذا الوضع صلة بدين القوم الذين تعود اليهم تلك المقابر .
وقد وجد أن المواد والأدوات التي عثر عليها في هذه المقابر تشبه المواد والأدوات
التي عثر عليها في المقابر الأخرى التي عثر عليها في المواضع المذكورة من جزيرة
العرب . ويظن بعض الباحثين أن أصحاب هذه المقابر كانوا يقيمون في الجهة
المقابلة لجزيرة البحرين من الجزيرة ، أي على ساحل الخليج ، وكانوا قد اتخذوا
الجزيرة مقبرة لهم ، فينقلون إليها موتاهم لدفنهم هنالك . ومنهم من يرى أن
تلك المقابر هي مقابر رؤساء الفينيقيين وأشرفهم الذين كانوا يقطنون البحرين ،
وأن عهد تلك المقابر يرجع الى ما بين ٣٠٠٠ - ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد^٢ .

وقد عثرت البعثة الدانماركية في سنة (١٩٥٩ م) في البحرين جنوب طريق
(البديع) على أربع مقابر تبين من فحصها أنها ترجع الى العصور الحجرية^٣ .
وعثر السياح على تلال في مواضع متعددة من عمان وقطر ، تبين أنها مقابر
لعهود سبقت الميلاد .

وليست لدينا الآن دراسة علمية شاملة عن هذه المقابر : مقابر البحرين ،
ومقابر المواضع المذكورة من جزيرة العرب ، إلا أن آراء من زاروها ورأوها ،
تكاد تتفق في القول بوجود ترابط في الزمن فيما بينها ، ويرجعون أيامها الى
عصر الـ (Chalcolithic) أو الى العصر البرنزي . ومنهم من يرى أنها من
العصر البرنزي المتأخر^٤ ، ويرى أن المقابر المقامة على المرتفعات هي مقابر جماعة

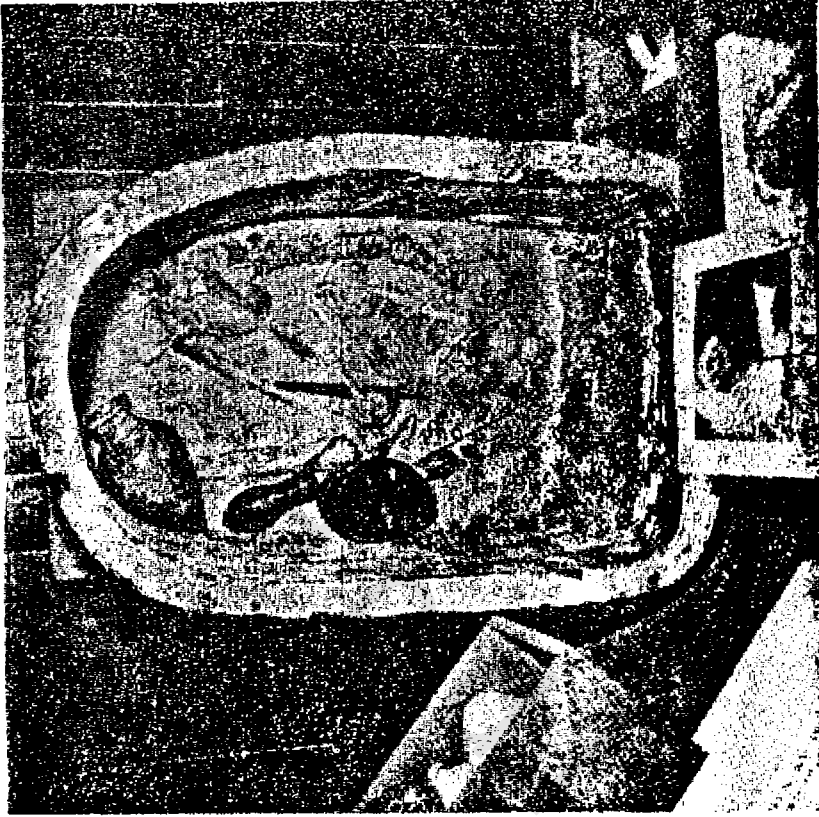
Geogr. Journal. Vol. CVI, Numb. 3, 4, Sept-Octo. 1945 P. 152, Philby, Heart
of Arabia, Vol. 2, P. 26.

Sanger, The Arabian Peninsula, P. 141, Enc. Vol. I, P. 585.

P.V. Glob, Archaeological Investigations in four Arab States, Kuml, 1959, P. 238.

Sanger, P. 141.

من الصيادين أو الرعاة . أما المقابر المقامة على السهول المنبسطة فيرون انها مقابر قوم مزارعين مستقرين^١ .



تابوت من الفخار على شكل حوض وأدواته ترجع الى عام ٦٠٠ قبل الميلاد
من نشرة دائرة الاعلام : حكومة البحرين

ويظن ان المقابر التي عثر عليها في جزيرة (ام النار) في (أبي ظبي) هي مقابر أقوام عاشوا في الألف الثالثة قبل الميلاد ، وقد عثر فيها على هياكل عظمية وعلى خرز وفخار عليه رسوم . وقد كسيت هذه المقابر وغطيت بحجارة منحوتة ، حفرت عليها صور ثيران وجمال وأفاعي وحيوانات أخرى . وقد نحتت

واجهة الحجر المحيطة بالصور لتظهر الصور بارزة عالية^١ . ويظهر من دراستها انها من عمل أيد أنقنت مهنتها ، وأجادت في فنها بالقياس الى تلك الأزمنة . وهي تحتاج الى دراسة لمعرفة مدى تأثيرها بفنون الشعب الأخرى التي كان لها اتصال بهذه البلاد .

ان هذه المقابر تستحق الدراسة حقاً ، لأنها تتحدث عن وجود روابط فكرية مشتركة بين أصحابها ، وعن احتمال ارتباطهم بعقيدة دينية واحدة . ولا يستبعد أن تكشف بعض القبور السالمة التي لم تعبت بها أيدي البشر العاتية ، عن كتابات مطمورة في غرفها ، أو عن صور ونقوش ورموز تتحدث إلينا عن هوية أصحابها وعن مكانتهم في التأريخ وفي الحضارة البشرية بالنسبة الى الأيام التي عاشوا فيها . وعندئذ نكون قد انتقلنا الى مرحلة جديدة من مراحل تأريخ العرب القديم ، لا نعرف اليوم من أمرها الا هذا النزر اليسير الذي نتحدث عنه .

ولست أستبعد أيضاً احتمال عثور المتقنين في المستقبل على آثار أصحاب هذه المقابر في مواضع لا يمكن أن تكون بعيدة عنها ، اذ لا يعقل أن يكون ذور أرحام الموتى قد سكنوا في مواضع قصية نائية عنها . وأن قوماً لهم هذه المهمة في عمل هذه القبور ، لا بد أن يكونوا على درجة من الحضارة . والمخلفات التي عثر عليها في بعض هذه القبور هي خير شاهد على ذلك . فقد عثر فيها على حلي وعلى أوانٍ من الفخار وعلى آثار أخرى مصنوعة تظهر براعة في الصنعة والافتان . ولا يستبعد العثور على أمثالها في مستوطناتهم متى عثر عليها .

هذا ، وقد عثر بعض السياح على قبور جاهلية في حضرموت وفي اليمن وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب ، الا أن هذه المقابر هي أحدث عهداً من تلك ، ثم انها قبور نحتت في الصخور نحتاً ، ولم تعمل على حياة تلال على النحو الذي وصفناه . ولـ (كارل راتجن) (Carl Rathjens) وصف مفصل لمقابر منحوتة زارها تقع على مقربة من مدينة (كوكبان) في اليمن . وهي كثيرة منحوتة في جانب الجبل ، منها المنفردة المنزلة ومنها ما نحتت بعضها فوق بعض . وقد وجد أن أكثرها قد لعبت بها الأيدي ، فأخذت ما كان فيها ، فخلت من كل شيء . وقد عثر على كتابة سبئية عند أحد أبواب هذه المقابر ، مما يدل على

١ تقرير شامل من الحفريات الاثرية في جزيرة « فيلكا » ، ١٩٥٨ - ١٩٦٣ م ، الكويت (ص ٢٤) .

انها كانت لقوم من سبأ^١. ولا يستبعد بالطبع أن يكون أولئك الناس قد توارثوا هذا النوع من القبور من أسلاف لهم كانوا قد نحتوها .

وعلمنا بأحوال جزيرة العرب في العصور (البرنزية)، لا يزيد على علمنا بالعصور الحجرية فيها . فهي ضحلة يسيرة ، لأن ما عثر عليه من مخلفات تلك العصور ليس بشيء يذكر ولا يكفي لاستنباط آراء منه . ولا يستبعد بالطبع احتمال عثور المنقبين في المستقبل على آثار قد ترجع الى هذه العصور ستهتك الحجب التي تحول الآن بيننا وبين التعرف على تلك الحقب القديمة من تأريخ الجزيرة . وقد وجدت (البعثة الدانماركية) التي نقتب في جزيرة (فيليكا) من جزر الكويت على آثار من هذه العصور^٢ ، إلا أن ما عثر عليه لا يكفي لإعطاء رأي علمي كاف عن العصور البرنزية في هذه الأرضين .

وقد عثر في جزيرة (فيليكا) على آثار سكنى وبقايا أبنية وهياكل يرجع عهدا الى الألف الثالثة قبل الميلاد ، وقد تبين أن هذه الجزيرة والجزر الأخرى الواقعة في الخليج كانت ملاجئ يلبأ إليها أصحاب السفن والتجار في تلك الأزمنة للاستراحة ولشراء ما يجدونه عند أهل السواحل المقابلة ، وللتمون بما يحتاجون اليه من ماء وزاد . ولأهميتها هذه اهتمت بها وبالسواحل المقابلة لها حكومات العراق ، فاستولى عليها الأكاديون والآشوريون واليونان .

وقد عثر على مواد مصنوعة من حديد من العصر الحديدي ، غير أنها قليلة لا يمكن أن تكون لنا رأياً واضحاً من العصور الحديدية في جزيرة العرب . وعثر على بقايا جاجم بشرية في (الظهران) تبين من دراستها وفحصها على أنها من العصور (البرنزية)^٣ .

وتدل الأدوات المكتشفة على قتلها على أن شعوب جزيرة العرب حتى في الأزمان البعيدة عن الميلاد كانت على اتصال بالعالم الخارجي ولا سيما العراق وبلاد الشام وحوض البحر المتوسط والقارة الإفريقية، وأنها كانت تسعور منها ما تحتاج

١ Carl Rathjens, Sabaelca, I, S. 105.

٢ تقرير شامل عن الحفريات الاثرية في جزيرة فيليكا ، ١٩٥٨ - ١٩٦٣ م الكويت مطبعة الحكومة ، من منشورات وزارة التربية والتعليم ، (ص ٩) .

٣ H. Field, Papers of the Peabody Museum, ٤8/2, (1956),

58, A. Grohmann, Arabien, S. 15.

اليه من مواد وتبيع لها ما عندها من سلع خام أو من سلع تستوردها من السواحل الإفريقية أو الهند ، وأنها لم تكن في يوم من الأيام بمعزل عن بقية العالم .

والعراق وبلاد الشام ، أي الأرضون التي يقال لها (الهلال الخصيب) في الزمان الحاضر ، هي من الناحية الطبيعية وحدة لا استطاع فصلها عن جزيرة العرب ، وامتداد طبيعي لها ^١ . وليست البادية الواسعة التي تملأ باطن الهلال إلا جزءاً من جزيرة العرب ، وامتداداً لها ، لا يفصلها عنها فاصل ، ولا يحد بينها حد ، وإذا ما تنقلت من بادية الشام الى بوادي المملكة العربية السعودية ، فلا تجد أمامك شيئاً يشعر بوجود فروق بين طبيعة هذه الأرضين الواسعة ، أو وجود حواجز تمنع سكانها من الهجرة نحو الشمال أو الى الجنوب ^٢ . ولهذا كان من الطبيعي تنقل الناس في هذين الأرضين منذ وجدوا فيها وظهروا عليها بكل حرية ، وبحسب الظروف السياسية والعسكرية والاقتصادية .

وتأريخ ظهور العرب في بادية الشام وفي أطراف الهلال الخصيب ، تأريخ قديم جداً ، ولكننا لا نستطيع تحديد مبدئه ، ولا تثبيته ، لأننا لا نملك أدلة علمية تعينه ونحدده . ثم ان كلمة (العرب) لم تكن تعني عند الشعوب التي عاشت قبل الميلاد ، غير معنى (أعراب) ، وكانت اذا ما ذكرت لفظة (عرب) تقصد البدو على نحو ما ذكرت في الفصل الأول في تحديد معنى هذه اللفظة . أما العرب المستقرون ، أو شبه الحضر ، فقد عرفوا عندهم بأسمائهم ، ولهذا اشبه أمرهم علينا ، وعسر على العلماء تعيين هوياتهم ، لعدم نص الكتابات أو الكتب القديمة على انهم عرب بمعنى جنس للسبب المذكور ، فصرنا في حيرة من أمرهم ، وفي التوراة أسماء قبائل كثيرة ، نسبت الى آباء وأجداد ، يجب أن تعد من العرب ، ولكن التوراة لم تطلق عليها لفظة (عرب) ، لأنها لم تكن قبائل بدوية وليست اللفظة فيها الا بهذا المعنى ، فحار العلماء في تعيين أصل كثير منها ، وما زالت حيرتهم هذه حتى اليوم . وليس من المستبعد أن يكون بين الشعوب القديمة شعوب عربية ، الا انها لم تعد من العرب لأن اللفظة لم تكن علماً على جنس قبل الميلاد .

١ الهلال الخصيب (Fertile Crescent) اصطلاح أطلقه « برستيد (H. Brested)

لأول مرة بهذا المعنى ، على القوس المتكون من العراق وبلاد الشام .

٢ Franz Stuhlmann, Der Kampf um Arabien, S. I.

واذا ما أخذنا بنظرية القائلين ان جزيرة العرب هي مهد الساميين ، جاز لنا أن نقول عندئذ ان معظم أهل الخصب والبادية هم من معمل تفريخ الجنس السامي الكائن في تلك الجزيرة ، وان ذلك المعمل هو الذي أمدّ هذه الأرضين الممتدة من ايران الى البحر المتوسط بسلالات الساميين . فصلة جزيرة العرب بالهلال الخصيب صلة قديمة ترجع الى الأيام الأولى من أيام الساميين ، على هذه النظرية ، وربما ترجع الى أقدم من تلك الأيام .

وسرى فيما بعد أن حكام العراق كانوا قد استولوا على العروض في الألف الثالثة أو قبلها قبل الميلاد ، وانهم نزلوا في البحرين وفي جزر أخرى من جزر الخليج ، وان أصل الفينيقيين هو من البحرين في رأي كثير من العلماء ، منها هاجروا الى أرض (فينيقية) وسواحلها ، وما كان ذلك ليتم لو كانت جزيرة العرب بمعزل عن الهلال الخصيب أو عن بادية الشام ، أو ان الهلال والبادية كانا بمعزل عن جزيرة العرب .

وقد ذكر ان جماعة من تجار (أور) كانوا يتاجرون في حوالي السنة ٢٠٠٠ ق.م مع البحرين . وكانوا قد أنشأوا أسطولا لنقل التجارة^١ . ويقال ان (سرجون) الأكادي استولى في حوالي السنة (٢٣٠٠ ق.م) على البحرين وقطر ، وان البحرين كانت في حوالي السنة (١٧٥٠ ق.م) في يد قبيلة اسمها (أكاروم) (أجارم) (Agarum) ، وهو اسم قريب من (أجرم) ، وانها كانت تدفع الجزية الى الملك (اسرحدون)^٢ . وقد ذهب بعض الباحثين الى أن (Agarum) هم أهل مدينة (هجر) التي هي الأحساء^٣ .

وقد كانت العلاقات التجارية مستمرة دوماً بين البحرين وبين العراق . إذ كانت (دلمون) محطة مهمة جداً للتجارة بين الهند وإفريقية وسواحل الخليج والعراق . تستورد الأخشاب من الهند ومن إفريقية كما تستورد الحاصلات الأخرى وتنقل النحاس من عمان ، فتبيع ذلك الى جنوب العراق ، وربما حلت تلك التجارات بسفن يملكها أهل (أور) أو غيرهم خلال نهر الفرات ، لنقلها من

١ P.V. Glob, Bahrain, Kuml, 1954, 103, Bahrain's Oldtidshovedstad, Kuml, 1954, 169.

٢ Arabien, S. 257, H. Fieid, Ancient and Modern Man in Southwestern Asia, 108, Archiv fuer Orientforschung, 16, (1952-1953), 6-9.

٣ Arabien, S. 257

هناك الى بلاد الشام ومنها الى البحر المتوسط لبيعها الى أهل اليونان وبقية أرجاء (أوروية) . وقد تبين من الأخبار التي تعود الى أيام الأسرة الثانية من أسر (أور) أن سفن ذلك الوقت (٢٢٠٠ - ٢١٠٠ ق. م) كانت تقوم برحلات منتظمة فيما بين البحرين و (أور) ، وذلك لنقل ما يرد الى هذه الجزيرة من نحاس ومن أحجار ثمينة من عمان ، ومن ذهب وأخشاب وأفوايه ومواد أخرى ثمينة من الهند .

وقد نزلت جاليات عراقية في البحرين ، كما هاجرت جاليات من البحرين الى العراق فسكنت به . وما الإله (انزاك) (Inzak) الذي عبد في جنوب العراق وشيدت المعابد باسمه ، إلا علامة على هجرة أهل البحرين الى العراق ، وتأثر أهل العراق به . فهذا الإله هو إله أصله من آلهة أهل البحرين . وانتقال عبادته الى العراق دليل على تأثر العراقيين بثقافة أهل البحرين ، ونقل أهل البحرين له معهم الى وطنهم الجديد .

وقد كانت البحرين ترتاح كثيراً عند انشغال أهل العراق بالتحارب فيما بينهم ، أو بانشغال الحكومات المهيمنة عليه بمحاربة جيران العراق من الدول القوية الكبيرة ، اذ تلهيهم تلك الحروب عن التفكير في السيطرة على البحرين وابتزاز الأموال من أهل الجزيرة ، وتكون مثل هذه الظروف فرصة ثمينة للدوليين ، إذ يجدون أسواقاً رائجة تشتري منهم ما يأتون به الى جنوب العراق ، كما يجدون الحكومات مشغولة في معالجة مشكلاتها فلا تشتط كثيراً في أخذ الضرائب من أولئك التجار .

والكتابات الآشورية ، هي أقدم سجل ، لا شك في ذلك ، يشير الى وجود (العرب) في الأرضين الواسعة الممتدة من الفرات الى مشارف بلاد الشام . ولكن العرب فيه هم أعراب ، لا أقل من ذلك ولا أكثر : أعراب متنقلون في الغالب ، هائمون في البادية حيث الماء والكأ والارتزاق من الغارات على الآشوريين وعلى غيرهم . والى هذه الغارات يعود ، ولا شك ، فضل اضطراب الآشوريين الى الإشارة اليهم في تلك الكتابات ، ولولاها لما ذكروا فيها ولا أشير اليهم . وقد وجد هؤلاء الأعراب قبل زمان هذا التسجيل بأمد طويل من دون ريب ، ومن يدري ؟ فقد يعثر على كتابات جديدة من زمن سحيق ، يسبق زمن الكتابات

الآشورية ، يرد فيها شيء من الأعراب فترتفع بذلك معارفنا عنهم الى زمن أبعد من هذا الزمن المنصوص عليه في كتابات الآشوريين .

أما الموارد الإسلامية ، فقد اضطربت في تعيين الزمن الذي ظهر فيه العرب في بادية الشام ومشارقها وفي العراق ، ولكنها كلها لا تعرف تاريخاً يسبق التاريخ المذكور في النصوص الآشورية . وما ذكروه عن ظهور العرب في هذه البلاد ، فهو مأخوذ من قصص اسرائيلي . ويظهر من رواية (لهشام بن محمد الكلبي) أن العرب كانوا في أرض العراق في أيام (بختنصر) ، وأنهم كانوا تجاراً يقدمون العراق للتجارات ، وذلك في أيام (معد بن عدنان) ، وأن (بختنصر) جمع من كان في بلاده من العرب حين همّ بغزو العرب في جزيرتهم ، اذ نزل وحي من الله على (برخيا) ، فبنى لهم (حبراً) على النجف وحصنه ، ثم ضمهم فيه ، ووكل بهم حرساً وحفظةً ، ثم نادى في الناس بالغزو . وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب ، فخرجت اليه طوائف منهم مسلمين مستأمنين ، فأنزلهم (بختنصر) السواد على شاطئ الفرات ، فابتنوا عسكرهم بعد ، فسموه (الأنبار) : وختلى عن أهل الحيرة ، فاتخذوها لهم منزلاً . فهذا كان مبدأ نزول العرب في العراق .

ويظهر من رواية أخرى (لابن الكلبي) كذلك ان الذي أنزل العرب في العراق هو (تبع) ، فالعرب الذين نزلوا الحيرة والأنبار هم قوم يمانون . و (تبع) هذا حكم - على زعمه - بعد (ياسر انعم) ، الذي حكم بعد بلقيس ، وهو (تبان أسعد) ، وهو (أبو كرب بن ملكي كرب بن تبسج ابن زيد بن عمرو بن تبسج) ، وهو (ذو الأذعار بن أبرهة تبع ذي المنار ابن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ) ، وكان يقال له (الرائد) . وقد خرج من اليمن حتى نزل على جبلي (طيء) (جبل شمر) ، ثم سار يريد (الأنبار) . فلما انتهى الى (الحيرة) ليلاً ، تحير فأقام مكانه ، فسمي ذلك الموضع (الحيرة) . ثم سار ، وخلف به قوماً من (الأزد) و (الخم) و (جذام) و (عاملة) و (قضاة) ، فبنوا وأقاموا به ، ثم انتقل اليهم بعد ذلك ناس من طيء و كلب والسكون و (بلحارث بن كعب) و (إياد) ، ثم توجه

الى (الأنبار) ثم الى (الموصل) ، ثم الى (أذربيجان) ، فلقي الترك ، ثم انكفأ راجعاً الى اليمن . وأقام العرب في العراق . وفيهم من قبائل العرب كلها من بني لحيان وهذيل ونمير وجعفي وطبيء وكلب^١ . فهذا كان مبدأ نزول العرب السواد من أرض العراق .

وحكى (الطبري) رواية أخرى عن (ابن الكلبي) متممة للرواية الأولى عن نزول العرب أرض العراق ، خلاصتها : أن العرب الذين أسكنهم (بختنصر) الحيرة ، انضموا بعد وفاة هذا الملك الى أهل (الأنبار) ، وبقيت الحيرة خراباً . فلما كثر أولاد (معد بن عدنان) ومن كان معهم من قبائل العرب، وملأوا بلادهم من تهامة وما يليهم، فرقتهم حروب وقعت بينهم، وأحداث حدثت فيهم ، فخرجوا يطلبون المتسع والريف فيما يليهم من بلاد اليمن ومشارف الشام ، وأقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين ، وبها جماعة من (الأزد) كانوا نزلوها في دهر (عمران بن عمرو) من بقايا (بني عامر) ، فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب ، فتحالفوا على (التنوخ) ، وهو المقام ، وتعاقدوا على التآزر والتناصر ، فصاروا يداً على الناس ، وضمهم اسم (تنوخ) . وتطلعت أنفس من كان بالبحرين من العرب الى ريف العراق ، وطمعوا في غلبة الأعاجم على ما يلي بلاد العرب منه ، أو مشاركتهم فيه ، واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف ، فأجمع رؤسائهم على المسير الى العراق ، ووطن جماعة ممن كان معهم على ذلك ، فكان أول من طلع منهم (الحيقار بن الحيق) في جماعة قومه وأخلاط من الناس ثم أعقبتهم موجات أخرى استقرت في الحيرة والأنبار وغيرهما من الأماكن بعد أن تغلبوا على (الأرمانيين)^٢ .

وروي عن (ابن الكلبي) أن (أردشير) لما استولى على الملك بالعراق ، كره كثير من (تنوخ) أن يقيموا في مملكته ، وان يدينوا له ، فخرج من كان منهم من قبائل (قضاعة) الذين كانوا أقبلوا مع (مالك وعمرو ابني فهم) و (مالك بن زهير) وغيرهم ، فلحقوا بالشام الى هناك من قضاعة . ثم وصلت اليهم جموع أخرى من قبائل العرب، فكونوا بمالك وأمارات ، سوف أتحدث عنها^٣.

١ الطبري (٣/٢) « المطبعة الحسينية » .

٢ الطبري (٥٩/٢) « المطبعة الحسينية » .

٣ ابن خلدون (٢٧٨/٢) .

هذا ما وصل اليه علم الأخباريين عن العرب في الهلال الخصيب ، وهو علم لا يستند بالطبع الى نصوص عربية جاهلية ، وإنما أخذ من روايات شفوية ، وأخبار وردت على ألسنة الأخباريين ومن روايات أهل الكتاب .

ومن الخطأ بالطبع أن نتصور أن وجود العرب في بادية الشام وشاطئ الفرات وأطراف دمشق يرتقي إلى أيام الآشوريين ، أو قبل ذلك بقليل . فوجود العرب في هذه الأرضين هو أقدم من هذا العهد بكثير . وإذا كنا قد أشرنا الى وجودهم في المواضع المذكورة في هذا العهد ، فلأن الكتابات الآشورية هي أقدم كتابة وصلت إلينا ووردت فيها إشارة الى العرب ، وإلا فإن العرب هم في هذه الأرضين قبل هذا العهد بكثير . في عهد لا نستطيع بالطبع تعيين ابتدائه ، لأن هذه الأرضين هي امتداد لأرض جزيرة العرب ، والتنقل بينها وبين جزيرة العرب هو تنقل حرّ ليس له حاجز ولا حدود ، فلا نستطيع إذن أن نقول متى سكن العرب بادية الشام .

وقد لاقت القبائل العربية مقاومة شديدة وعنّتاً شديداً من الحكومات التي حكمت العراق والحكومات التي حكمت بلاد الشام ، فقد وقفت تلك الحكومات منذ الدهر الأول لها بالمرصاد ، وأبت أن تسمح لها بالتوغل في داخل أرضها التي تحكمها حكماً فعلياً ، ذلك لأنها كانت تهاب الأعراب وتخشى من البدواة ، إذ لم يكن من السهل على البدو تغيير سننهم واقتباس سنن الحضرة ، ثم إنهم كانوا يغيرون على الحضرة وعلى الحدود لأخذ ما يجدونه أمامهم . وقد ترك غزو الأعراب للحدود أثراً سيئاً رابعاً في نفوس الحكام جعلهم لا يتساحون في دخول البدو الى أرض الحضارة ، ما دامت للحكام قوة ، ولم يتساهلوا معهم إلا بالوصول الى حدود الحضارة ومشارفها ، وذلك لأنهم نصبوهم حرساً لهم ، بمنع القادمين الجدد من البادية من الدنو من أرض الحضارة ، ويدافع عن الحدود ساعة الخطر ، ويهاجم مع القوات النظامية للحكومة الحاكمة أرض العدو في الحروب ، وفي أيام السلم لإلقاء الرعب والفرع في نفس العدو وإكراهه على تنفيذ مطلب يراد منه .

وقد اضطرت الحكومات الى دفع أكل وطعم وهبات وعطايا سخية لسادات القبائل الحراس في مقابل قيامهم بحراسة الحدود . إذ لم يكن في استطاعة تلك الحكومات القيام بها بنفسها ، ولا سيما في تعقب الأعراب وملاحقتهم في البوادي وغزو أعراب العدو ، فصارت لسادات القبائل جمعات سنوية وهدايا وألطف

وبعض امتيازات لاسترضائهم وإسكاتهم ما داموا أقوياء أعزاء ، وجعلت معهم في بعض الأحيان حاميات من قوى تلك الحكومات عليها سياسيون وقادة لمراقبة أعمال سادات القبائل والحد من غلوائهم ، ولما عادت عندهم عند ظهور سيد آخر قوي منافس في الميدان يريد مهاجمة الحدود أو انتزاع الرئاسة من سيد القبيلة صاحب الامتيازات. والحكومات هم عادة الى جانب سادات القبائل ما دام السادات أقوياء أعزاء. فإذا بدا الوهن عليهم ، وتبين أن الأمر قد أفلت من أيديهم ، وإن سادات جدد أصبحوا كفايات وقدر رؤساء أقوى من رؤساء القبائل القديمة قد برزوا في الميدان ، وقد أخذوا على أيدي السادات القدامى ، وأن المصلحة تقتضي الآن التحول من القديم الى الجديد ، تحولت تلك الحكومات الى السادات الجدد ، وانفقت معهم على شروط مرضية ، للقيام بأداء المصالح والواجبات المذكورة حتى يظهر منافس جديد ، يتناول على القديم فيأخذ مكانه. وهذا هو سر تعدد حكم سادات القبائل ، وانتزاع قبيلة الحكم من قبيلة أخرى ، وتغير حكم (آل فلان) و (آل فلان) ، وحلول حكم قبلي محل حكم قبلي سابق .

وسادات القبائل هم على هذه السنة أيضاً ، فكانوا اذا وجدوا ضعفاً في الحكومة المهيمنة على العراق أو على بلاد الشام وأدركوا انها في وضع حرج ، تقدموا اليها بمطالب جديدة وبشروط جديدة ، تكون متناسبة مع حراسة الموقف. فإذا لم تجب قام سيد القبيلة بتهديد مصالح الحكومة وبغزو أرضها أحياناً ، وقد يفاوض العدو للاتفاق معه عليها ، وقد يثور ويخرج عن طاعتها ، ويظل هذا شأنه حتى تجاب مطالبه ، أو يتفق معها على شروط يرضى عنها . وينطبق هذا الوضع على الأعراب الذين يجاورون الحضر ، فعلى الحضر دفع جعالة الى سيد الأعراب في مقابل حمايتهم لهم ومنع القبائل الأخرى المجاورة من الإغارة على أولئك الحضر . ويتقيد هؤلاء السادة بعهودهم مع الحضر ما دامت في مصالحهم. أما اذا رأوا أن الحضر في وضع حرج وأن الحكومة التي ترعاهم ، أو حكومة المدينة ضعيفة غير قادرة على الدفاع عن نفسها ، فإن الأعراب يفرضون على الحضر مطالب جديدة ، وبأخذون منهم امتيازات اضافية مثل حق الارتواء من الآبار ومن مجاري الماء ، وحق رعي ماشيتهم في زرع الحضر ، الى غير ذلك من شروط ، يضطر الحضر الى الموافقة عليها للمحافظة على حياتهم وأموالهم ، والا تعرضوا للغزو ولكوارث أخرى قد تنزل بهم أضراراً تزيد على ما يطلبه

الأعراب منهم بكثير .

والسيطرة على حركات الأعراب ولضبطهم ، أقامت حكومات العراق وبلاد الشام لها (مسالحيات) ، أي مواضع حصينة تعسكر فيها قوات نظامية في البادية ، يرأسها ضباط ، وضعت فيها كل ما يحتاج إليه من سلاح ومؤن وذخائر وقوات كافية للقيام بمثل هذه المهمات الخطيرة في البوادي . وقد حفرت لها آباراً للارتواء منها ، ونصب ضباط هذه الحصون أنفسهم حكاماً يتحكمون في البوادي التي يشرفون عليها ، يفضون مشكلات القبائل ، ويحافظون على الأمن ، ويراقبون تحركات الأعراب وتنقلاتهم ، ليكونوا على حذر منهم ومن غزواتهم المفاجئة للحدود . وقد بقيت هذه (المسالحيات) إلى أيام فتوح المسلمين للعراق وبلاد الشام . وكان من واجبات هذه الحصون توزيع الأرزاق على الأعراب أيام الشدة والضيق ، والتقرب إلى سادات القبائل ، وعقد صداقات معهم ليستفاد منهم في كسب جماع أتباعهم ، ويحولوا دون تحرشهم بهم ، ولئلا يقوموا بمهاجمة الحدود . وكان أقصى مكان مسموح للعرب بالوصول إليه هو الشاطئ الغربي لنهر الفرات ، وحدود الحضارة لبلاد الشام وأعالي البادية ، أي قصر البادية الأعلى . أما ما وراء ذلك ، فكان من الصعب على العرب الوصول إليه ، لتشدد الحكومة في منعهم من الدنو منه ، وتصلب الحضر تجاههم . ولم يدخله من العرب إلا أفراد أو جماعات تنكرت للبادية ولسننها ، وكفرت بسنة الغزو ، ورأت في الزراعة وفي احترام الحرف شرفاً لا يقل عن شرف رعي الإبل والتنقل بها من مكان إلى مكان . أما الذين وقفوا عند هذه الحدود ، وهم السواد الغالب ، فقد بقوا على سنن البادية ، مخلصين لها مؤمنين بحق الغزو والقوة ، إلا من اشتهى رائحة الحضارة وتنفس قليلاً من ريح الحضارة ، وجاور الفرات ومشارف الشام ، حيث تلوح معالم الحضر ، فقد طور نفسه بعض التطور ، واستقر في الأرض بغض الشيء وصار وسطاً بين الحضارة والبداءة ، لا هو حضري كسل الحضري ، ولا هو أعرابي تام الأعرابية ، وإنما وسط بين بين ، ومنزلة بين المنزلتين .

ولم يكن من الممكن للأعرابي أن يدرك قيمة الزرع والغرس وحياة الاستقرار لأن الماء وهو جوهر الزرع غير متوافر لديه ، ولأن الأمن غير موجود عنده ، فهو متى زرع واستقر وكون مجتمعاً حضرياً صغيراً ، هاجمه من هم على شاكلته من أهل البادية وسلبوه كل ما لديه . ومجتمعه مجتمع صغير لا يستطيع الاعتماد

على نفسه والركون الى قوته في صد عادية الغزاة ، لذلك حالت هذه الظروف دون السكنى والزرع والاستقرار . إلا في الأماكن التي وجدت فيها مياه ، وتوافرت لديها القوة ، كما لم يكن من السهل على سادات القبائل اكراه أتباعهم على الاستيطان والسكنى في بيوت من مدر ، ذلك لأنهم هم أنفسهم أبناء بادية ، وآراؤهم آراء أعرابية ولا يفكر في هذه الشؤون إلا من كان حضرياً مستقراً ومن ولد ونشأ وتثقف في أرض الحضارة . ثم إن تنفيذها يستدعي وجود مال وأمن وقوة رادعة تمنع الأعراب من إفساد ما يقوم به الحضري من عمل مجهد . ولم تكن هذه متوافرة عند سادات القبائل ، ولم يكن في وسع سيد القبيلة الذي يجب أن يكون محترساً يقطاً حتى لا يفاجئه منافس طامع من أهل البادية فيأخذ مكانه ، أن يأمر قومه بالاستيطان ، ووضعه على هذه الحالة من القلق وعدم الاستقرار . لذلك قضت طبيعة هذه البيئة على غالبية الأعراب التي جاءت الى هذه الأماكن بأن تعيش عيشة أعرابية أو عيشة رعي ، تعيش على ماشيتها بدلاً من الاستقرار استقراراً دائماً والاشتغال بالزراعة والتجارة بالزرع .

لقد كانت القبائل العربية قد توغلت في (طور سيناء) منذ القدم . ولا بد أن تكون هذه القبائل قد نزلت مصر أيضاً ، فمن يصل الى (طور سيناء) يكون قد طرق أبواب مصر . ذهبت تلك القبائل الى مصر تحمل اليها مسا عندها من سلع ، وفي جملتها البخور والمر والحاصلات الأخرى التي عرف العرب بالتجارة بها ، غير أننا لا نملك وبالأأسف نصوصاً تاريخية نستطيع أن نعتمد عليها في اثبات ذلك الاتصال . نعم ، عثر على صور ومدونات مصرية للسلالات الملكية الأولى ، تشير الى البدو ، والبدوي هو (عمو) في اللغة المصرية^١ . غير أننا لا نستطيع أن نؤكد أن أولئك البدو ، هم أعراب من أعراب طور سيناء ، أو من بدو مصر أو من أعراب جزيرة العرب .

والذين يتحدثون اليوم عن صلات السلالات الملكية المصرية القديمة بالعرب وبلاد العرب ، إنما يتحدثون عن حدس وتخمين ، لا عن وثائق ونصوص أشير فيها صراحة الى العرب والى بلاد العرب ، وإن كنا لا نشك كما قلنا بوجود وجود صلات قديمة جداً ربطت بين مصر وبلاد العرب ، لا سيما أن مصر متصلة

Breasted, Ancient Records of Egypt, Vol. I, 450, 483, O'leary, Arabia, P. 28, Naval, P. 214.

فعلاً بجزيرة العرب من ناحية البر عن طريق (طور سيناء) ، ثم إنها على الساحل المقابل للجزيرة ، فلا بد أن يكون هناك اتصال بري وبحري قديم بين الغرب والمصريين . ولا يستبعد احتمال عثور المتقبن في المستقبل على آثار قد تتحدث عن هذا الاتصال .

يظهر من أقوال (هيرودوتس) و (بلينيوس) ، وغيرهما من (الكلاسيكيين) ، ان الأقسام الشرقية من (مصر) ، ولا سيما المناطق المتصلة بـ (طور سيناء) كانت مأهولة بقبائل عربية . وقد ذكرت أسماء عدد منها في كتب هؤلاء . ولم تستقر هذه القبائل في أيام هؤلاء (الكلاسيكيين) ، بل سكنت قبلهم بأمد طويل كما يظهر ذلك من كتبهم . وقد أطلق (الكلاسيكيون) على البحر الأحمر اسم (الخليج العربي) (Arabici Sinus) (Sinus Arabicus) ، وفي هذه التسمية معنى يشير الى نفوذ العرب وهيمنتهم على هذا البحر^٢ .

ومعارفنا بصلات العرب بالحكومات العراقية القديمة ، مثل حكومة السومريين والأكديين (الأكاديين) ، لا تزيد على معارفنا المذكورة بصلات المصريين بالعرب ، فهي حتى الآن قليلة ضئيلة ، ولكن ضالة ما لدينا من معلومات لا يمكن أن تكون سبباً في الحكم بعدم وجود صلات وثيقة بين سكان الخليج وسكان العراق ولا سيما القسم الجنوبي منه في أيام السومريين ، بل وقبل أيامهم أيضاً ، فالعراق هو امتداد طبيعي لثربة ساحل الخليج ، وهو جزء طبيعي من جزيرة العرب . وهو من ثم لا يمكن أن يكون بمعزل عن أرض الساحل وعن بقية أرض جزيرة العرب .

وقد يكون لاسم أرض (دلون) ، وهي أرض السلامة والنظافة ، والأرض التي لا تعرف الموت ولا الأمراض والأحزان ، والتي لا ينعب فيها غراب ، ولا ترفع الطيور أصواتها بعضها فوق بعض ، والتي لا تفترس أسودها ، ولا يأكل ذئب فيها حملاً ، الجنة في الأسطورة السومرية، علاقة بـ (دلون) التي هي جزيرة البحرين في لغة قدماء أهل العراق . وقد حوّل الخيال السومري ، أو خيال من عاش قبلهم على تلك الأرض الى أرض مسالمة مثالية لا قتال فيها ولا موت

Herodotus, Vol. I, P. 118, 120, 190, 196, Pliny, Natr. Hist. Vol. II, Bk. VI, 165 P. 463ff. ١

Forster, II, 154. ٢

ولا حزن ، استمده من تلك الجزيرة المسالمة الواقعة في الخليج^١ .

ويحدثنا نص كتب عن فتوحات (لوكال - زكه - مي) (Lugal-Zagge-Si) (٢٤١٠ - ٢٣٧١ ق. م.) ، وهو من رجال السلالة الثالثة من ملوك (الوركاء) (Uruk) ، أن فتوحاته كانت قد امتدت من (البحر الأسفل) (الخليج العربي) الى (البحر الأعلى) (Upper Sea) ، أي البحر المتوسط . ومعنى هذا ان حكمه كان قد شمل الخليج العربي^٢ .

وفي أخبار (سرجون) الأكدي ، المعروف بـ (شروكين) (Sharru-Kin) (٣٣٧١ - ٢٣١٦ ق. م.) ، أي العادل ، أن فتوحاته بلغت (البحر الجنوبي) (البحر التحتاني) (البحر الأسفل) ، أي الخليج العربي ، وأنه استولى على مواضع منه^٣ . و (سرجون) ، هو أقدم ملك أكدي ، يقص علينا خبر وصول الأكديين الى تلك الجهات .

ويلاحظ أن قدماء العراقيين كانوا يطلقون على البحر المتوسط (البحر الأعلى) ، وعلى الخليج العربي (البحر الجنوبي) (The Lower Sea)^٤ . وذهب بعض العلماء الى أن المراد من (البحر الأعلى) بحيرة (وان)^٥ .

وقد أرسل الملك الأكدي (منشوسو) (Manishtusu) (٢٣٠٦ - ٢٢٩٢ ق. م.) حملة عسكرية بحرية ، يظهر أنها ركبت السفن من الجزء الجنوبي الغربي من ايران من (شريكوم) (Shirikum) ، فعبرت الخليج (البحر الأسفل) الى الساحل المقابل ، أي الساحل الشرقي لجزيرة العرب . ولما وصلت سفنه الساحل ، تجمع ملوك (المدن) ، وبلغ عددهم (٣٢) ملكاً ، وقرروا محاربة جنوده ، غير أن جنوده انتصروا - كما يقول ملك أكد - على جنود ملوك المدن ، وانسحق أهل الساحل ، واضطروا الى الاستسلام والخضوع ، وسلمت تلك المدن له . وبذلك فرض سلطان (أكد) عليها الى موضع (مناجم الفضة) . وقد استولى على الجبال جنوب (البحر الأسفل) ، وأخذ ما وجد

Ancient Iraq, P. 94. ١

Ancient Iraq, P. 122. ٢

Ancient Iraq, P. 129. ٣

W. F. Leemans, Trade in the Old Babylonian Period, P. 4, Leiden, 1960. ٤

Reallexikon der Assyriologie, I, Fünfte Lieferung, S. 374. ٥

فيها من أحجار ، فصنع منها تماثيل قدمها نذراً للإله (انليل) (Enlil)^١ . وأغلب الظن أن مراد الملك من الجبال أسفل (البحر الأسفل) هي أرض عمان ، وهي أرض متصلة من البحر بالبحرين وبالعراق من البر والبحر ، كما أن تحرك السفن من جنوب غربي إيران ، أي من الأرض العربية المسماة بـ (عربستان) في الزمن الحاضر إلى الساحل المقابل ، أي ساحل جزيرة العرب الشرقي ، يحمل الذهن إلى أن الجبال التي ذكرها الملك هي جبال عمان ، وإذا صح هذا الرأي، يكون هذا الملك الأكدي قد وصل في فتوحاته إلى أرض عمان .

وجاء في كتابة مدونة على تماثيل الملك (نارام سن) (نارام سن) (نارام سين)^٢ (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ق. م)^٣ . أنه أخضع موضع (مكان) مجان (مغان) (Magan) ، وتغلب على ملكه (مانو) (مانيوم) (Manium) (مانودانو) (Mannu-Dannu) ، وأسر^٤ .

ويظهر أن أهل (مجان) (مكان) ، وهم قوم لم يشر إلى اسمهم (منشوسو) والد (نارام سن) (Naram-Sin) ، وهم أهل عمان في رأي أكثر العلماء - كما سأحدث عن ذلك بعد قليل - كانوا قد ثاروا على العراقيين الأكديين الذين أخضعهم لحكمه والد (نارام سن) ، وذلك في أيامه أو في أواخر أيام والده ، فأرسل لذلك (نارام سن) حملة تأديبية قضت على ثورتهم وأعادتهم إلى حكم الأكديين ، وعاد بذلك ساحل الخليج العربي من عمان إلى أعلاه ، فصار جزءاً من مملكة أكد .

وقد ورد اسم (مكان) (مجان) في نصوص سومرية وأكادية ، نشر

١ G.A. Barton, The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, New Haven, 1924, P. ff. Ancient Iraq, P. 131.

٢ نحو « ٢٣٠٠ ق. م » حتى (ص ٤٣) الترجمة العربية ، و (٢٤٠٠ ق. م) في الطبعة الثالثة باللغة الانكليزية (ص ٣٦) ، - (٢٧٣٠ ق. م) في :

Rostovtzeff, A History of the Ancient World, Vol. I, Oxford 1930, P. 397, ancient Iraq, P. 132.

L.W. King, Studies in Eastern History, II, "Chronicles concerning Early Babylonian Kings," Vol. I, P. 8, 51, 52, Vol. II, P. 10, 38, 39.

King, I, P. 51, The Cambridge Ancient History, Vol. I, P. 415, Cambridge, 1923, Bruno Meissner, Koenige Babyloniens und Assyriens, S. 31, King, Vol. II, P. 10, 38 39.

بعضها العلماء ، منها نص للملك (شلجي) أو (دلجي) أو (ونجي) الملقب بـ (ملك سومر وأكاد) أفاد وجود صناعة بناء السفن في هذا المكان^١. والواقع ان أهل الساحل الشرقي لجزيرة العرب عرفوا ببناء السفن منذ القديم ، وقد ركبوا البحار ، وتاجروا ، وتوسطوا في نقل التجارة من مختلف السواحل ، ولا تزال صناعة بناء السفن الشراعية معروفة حتى اليوم مع قلة ربحها ، وعدم تمكنها من منافسة البواخر ، الا انها على كل حال مورد رزق لأصحابها لاقتناعهم بالقوت القليل .

ويدل عثور المنقبين على اختتام ومواد أخرى من عمل الهند ، في (اور) وفي (كيش) و (البحرين) ومواقع أخرى من الساحل العربي الشرقي على أن الاتصال التجاري بالبحر كان معروفاً في الألف الثالثة قبل الميلاد ، وأن حركة الاتصال هذه كانت مستمرة عامرة ، وان بعض مواقع الخليج مثل (البحرين) كانت من مراسي السفن الشهيرة في تلك الأيام ، تقصدها السفن القادمة من العراق في طريقها الى الهند ، والسفن القادمة من الهند في طريقها الى العراق^٢ .

وقد دعت (مكان) (بجان) في نصوص أخرى (Matu-Ma-Gan-Na) أي (أرض بجان)^٣ . ويظهر ان الملك (مانيوم) (ماننوم) (مانوم) هو الملك (منودنو) (Mannu-Dannu) نفسه الذي ورد في نص آخر^٤ . وقد كتبت على التمثال لفظة (بلو) (Belu) بمعنى (سيد) ، أي سيد (بجان) ، وهو (مانيوم) . وقد جيء بحجر التمثال من (بجان) . وتعني كلمة (دنو) (المقتدر) ، ولذلك يرى بعض الباحثين انها صفة ألحقت بالاسم ، فهي لقبه ، وليست جزءاً من الاسم^٥ .

١ S.H. Langdon, The Cambridge Ancient History, Vol. I, P. 415, 437, F. Thureau-Dangin, Die Sumerischen und Akkadischen Koenigsinschriften, Bd. I, S. 66, 72, 76, 78, 104, 106, 134, 164, 166, H.R. Hall, The Ancient History of the Near East London, 1947, P. 190, Ancient Iraq, P. 142

٢ C. J. Gadd, Seals of Ancient Indian Style found at Ur, PBA, XVIII, P. 191-210, Sir M. Wheeler, The Indus Civilization, P. 85, Leemans, P. 5.

٣ King, II, P. 38, 39.

٤ King, I, P. 8, 51, 52, De Morgan, Délégation en Pers, Mémoires VI, P. 2 1905.

٥ King, I, P. 52, Cambridge Ancient History, I, P. 415.

وفي أنباء (جوديا) (غوديا) (Godea) ، وهو (باتيسي) مدينة (لكش)^١ ، انه جلب الحجر من (مجان) ، وذلك لصنع التماثيل ، كما جلب الخشب منه ومن (دلون)^٢ . وذكر مع موضع (مجان) اسم موضع آخر هو (ملوخا) . وقد ذكر (جوديا) (غوديا) انه جلب كميات كبيرة من (حجر أحمر) من (ملوخا)^٣ . وقد أخذ العلماء في تقصّي هذين المكانين اللذين أخذ منها هذا الـ (باتيسي) أحجاره وأخشابه ، وكذلك أسماء مواضع أخرى ذكرت مع المكانين^٤ .

وقد بحث (ونكلر) عن موضع (مجان) ، ويقع على رأيه في الأقسام الشرقية من جزيرة العرب^٥ . وقد نبه على اقتران اسم (ملوخا) باسم (مجان) في الغالب ، ويرى انهما اصطلاحان يقصد بهما في البابلية القديمة بلاد العرب ، فإفراد من (مجان) القسم الشرقي من الجزيرة من أرض (بابل) الى الجنوب . وأما (ملوخا) ، فإفراد بها القسم الشرقي من جزيرة العرب . ويرى أيضاً ان ما وقع في جنوب المنطقتين عرف باسم (كوش) أي الحبشة ، وان البابليين لم يكونوا يتصورون بلاد العرب شبه جزيرة تحيط بها البحار من الشرق والجنوب والغرب ، بل تصورها منطقة واسعة تمتد من الحبشة الى الهند ، وان (كوش) تقابل مصر التي هي القسم الشمالي من جزيرة العرب . فما ذكر عن (كوش) ومصر في التوراة ، لا يقصد به الحبشة ومصر ، بل يقصد به جزيرة العرب وشمالها . وقد جاء على ذلك بأمثلة من العهد العتيق ، ذكر أن من الصعب ان يكون المراد بها مصر والحبشة .

وقد ألف (ونكلر) رسالة سماها (مصري وملوخا ومعين) بيّن فيها رأيه في أن (مصري) هي أرض عربية شمالية ، وأن مصر المذكورة في التوراة

١ « باتيسي » ، في السومرية في مقابل كلمة « اشاكو » (Ischakku)

و« لكرب » أي الحاكم الكاهن ، الذي يجمع بين السلطتين الزمنية والدينية

Schrader, Die Keilschriften und das Alte Testament, S. 15. ff. ٢

وسيكون رمزه : KLT

Ancient Iraq, P. 141. ٣

٤ « مجان وملوخا ، جمعنا الخشب من جبالهما وجوديا جلب الخشب منهما

التي مدينة جرسو » ، Ancient Iraq, P. 141.

KLT, S. 15. ٥

هي في بلاد العرب ، لا في إفريقية . وقد أثارت نظرية (ونكلر) هذه جدلاً بين العلماء وقوبلت بنقد شديد ، لأنها تعارض ظاهرة نصوص التوراة ^١ :

وذهب آخرون الى أن (مجان) هي في المنطقة المسماة (Gerrha) عند (الكلاسيكيين) ، وهي الأحساء ، وأما (ملوخا) فتتمد من المنطقة الواقعة الى الجنوب من البحرين الى عمان ^٢ . وقد اشتهرت (ملوخا) بوجود الذهب فيها ^٣ . ومنها حصل (جوديا) (Gudea) (غوديا) على الذهب ^٤ ، كما اشتهرت بالخشب الثمين المسمى (Ushu) ^٥ . وأما (هومل) ، فيرى أن (مجان) في الأقسام الشرقية من جزيرة العرب ، وأن (ملوخا) تقع في وسط جزيرة العرب ، أو في القسم الشمالي الغربي منها .

وذهب (جيسمن) الى احتمال وقوع (مجان) على مقربة من ساحل الخليج ، في موضع في الرمال جنوب (بربين) ، فيه بشر جاهلية ، قال إن اسمها قريب من (مجان) (Magan) ، ويعرف هذا المكان باسم (مجيمنة) ^٦ .

وقد عارض (فليبي) رأي (جيسمن) هذا ، لأن الموضع المذكور يقع في منطقة صحراوية بعيدة عن ساحل البحر ، ولا توجد فيه آثار عادات تشير أنه كان من الموضع الجاهلية العتيقة ، ولا صخور من نوع (الديوريت) الذي صنع منه تمثال (نرام - سين) ، ولا أي نوع آخر من الصخور ، يبعث على الظن أنه المكان الذي نقلت منه الحجارة الى العراق . وقد رأى (فليبي) أن موضع (مجن) ، الواقع على مقربة من الساحل عند مصب وادي (شهبه) ، هو أقرب الى (مجان) من الموضع الذي اختاره (جيسمن) ، ولهذا ظن أنه هو المكان المقصود ^٧ .

ويرى (موسل) أن من الصعب جداً الاتفاق على تعيين موضعي (مجان)

Hugo Winckler, Musri, Meluhha, Main, Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, 1898, I, Berlin, "hefte. ١

O'leary, P. 47. ٢

O'leary, P. 49. ٣

Thureau-Dangin, Die Sumerischen und Akkadien Königinschriften, Leipzig, 1907, S. 70. ٤

Fr. Hommel, Grundriss, I, S. 13, Arnorold T. Wilson, The Persian Gulf, Oxford, 1928, P. 28. ٥

Philby, The Empty Quarter, P. 119. ff. ٦

Major Cheesman, In Unknown Arabia, P. 266. ٧

و (ملوخا) ، لأن مدلولي الاسمين قد تغيرا تغيراً مراراً . فالذي يفهم من نصوص الألف الثالثة قبل الميلاد ، أنها يقعان في جزيرة العرب على سواحل الخليج وعلى سواحل المحيط الهندي . ف (بجان) في نص (نرام - سين) أرض تحد إقليم (بابل) ، أو هي لا تبعد عنه كثيراً ^١ . وهي كذلك في كتابة (جودية) (جوديا) (غوديا) . وفي بعض النصوص التي عثر عليها في (اور) حيث أشير إلى طريق قوافل يوصل من (السوس) إلى (بجان) ^٢ . وهذا مما يبعث على الظن أن أرض (بجان) و (ملوخا) المذكورتين في نصوص الألف الثالثة قبل الميلاد تقع على الخليج ، في الأرضين التي سكن فيها الـ (جرهائيون) (Gerhaens) ^٣ . وقد كان سكان هذه السواحل يتاجرون منذ القديم مع الهند وإيران والسواحل العربية الجنوبية ، ومع إفريقية أيضاً . ويرى احتمال شمول اسم (ملوخا) منطقة واسعة تشمل ما يسمى (كوش) في التوراة ، والسواحل العربية الجنوبية التي كانت تعرف بـ (كوش) كذلك ^٤ .

ويرى (موسل) أن مدلول (بجان) قد توسع في الألف الأول قبل الميلاد فشمّل منطقة كبيرة شملت مصر أيضاً ، فعنى في النصوص الآشورية التي ترجع إلى الألف الأول قبل الميلاد بـ (بجان) طور سيناء والأقسام المتاخمة لها من مصر ، وإلى هذا الرأي ذهب (مايسز) كذلك ^٥ . أما (ملوخا) ، فقد قصد بها الحبشة والسودان . وقد توسع مدلول (حويلة) المذكور في التوراة أيضاً ، فشمّل المنطقة التي تقع غرب (بابل) إلى طور سيناء والسواحل الشرقية الواقعة على خليج العقبة . ولهذا ظن بعض العلماء أنها صارت تعني (ملوخا) ^٦ .

وقد ذهب (كيتاني) إلى أن (بجان) هي (مدين) ، لأن أرض (مدين) كانت في حوالي خمسة آلاف سنة قبل الميلاد كثيفة الأشجار ، وكانت تصدر الأخشاب التي تصلح لبناء السفن . ومن مدين أخذ البابليون الذهب والنحاس

Musil, Negd, P. 306. ff. British Museum Tablet, 26, 472, K. 2130.

Musil, Negd, P. 307.

Musil, Negd, P. 307.

Musil, Negd, P. 307.

Konige, S. 31, Musil, Negd, P. 307.

Musil, Negd, P. 307.

والأخشاب . أما (موسل) ، فيعارض هذا الرأي ، ويرى أن من الصعب تصور نقل الأكديين والسومريين البابليين الأخشاب والصخور الثقيلة من مدين على ظهور الجبال الى بلادهم مع اتساع الشقة وبعد الطريق ، ويرى أن من الصعب تصور نقلها في البحر الأحمر فالبحر العربي فالخليج ، فإن ذلك يستدعي زمناً طويلاً ومتاعب كثيرة ، ثم إن النصوص لم تشر الى ذلك . فمن المعقول أن تكون (مجان) في العربية الشرقية على ساحل الخليج^١ .

ويرى (كلاسر) أن (Magon Kolpos) الذي ذكره (بطليموس) لا يعني (خليج المجوس) (Magorum Sinus) حتماً ، إذ يجوز أن يكون المراد منه (مجان) (Magan) ، أي موضع (مجان) الذي نتحدث عنه^٢ . ويقع — في رأيه — على ساحل الخليج ، وربما كان عند (القطن) (قطن) . ويحتمل — في رأيه أيضاً — أن يكون (Maka) المذكور في نص (دارا)^٣ .

ويرى (أوليري) أن (مجان) هي (Gerrha) ، وتمثلها الأحساء في الزمن الحاضر . أما (ملوخوا) (Meluhha) ، فتقع — في رأيه — جنوب الأحساء ، في عمان . وقد استدل على ذلك بنص دون في عهد (سرجون) (٧٢٢ — ٧٠٥ ق. م) ، جاء فيه أن مملكته بلغت مسيرة ١٢٠ (بيرو) من سقي نهر الفرات الى (ملوخوا) على ساحل البحر^٤ ، وأن موضع (دلون) (Dilmun) يقع على مسافة ٣٠ (بيرو) من رأس الخليج^٥ . فيجب أن يكون موضع (ملوخوا) اذن بعد موضع (دلون) . ولما كان موضع (دلون) هو (تيلوس) (Tylus) في رأي أكثر العلماء ، أي البحرين ، فإذن تكون أرض (مجان) وأرض (ملوخوا) في العرض ، وفي المواضع المذكورة^٦ . وذهب

١ المصدر نفسه .

٢ Glaser, Skizze, II, S. 223. f. Forster, I, P. 298, 306, II, 215.

٣ Skizze, II, S. 225.

٤ Schroder, Kellinschr. Verschiedenen Inhalts, No. 92, O'leary P. 46.

٥ « بيرو » ، وفي القراءات القديمة « قصبو » (قصبة) ، « Kaspu » عوشا عن (بيرو) وهي مقياس للمسيرات ، سومر ، الجزء الثاني ، ١٩٤٩ ، من المجلد الخامس (ص ١٣٤) .

٦ O'leary, P. 46, ff.

بعض آخرون الى احتمال أن يكون (مجان) (مكان) في العربية الشرقية في موضع عمان^١ .

وقد ذكر الملك (شروكين) (Sharrukin) ملك آشور أن في جملة الأرضين التي خضعت لحكمه أرض (تلمون) (Tilmun) و (مجانا) (مجان) (مجنا) (Maganna) ، وتقع في البحر الجنوبي ، ويريد به الخليج . ويشير الى انه فتح هذه الأرضين بيده ، وذلك قبل الميلاد بمئات السنين (١٩٨٠ ق - ١٩٤٨ ق م)^٢ . وقد رأى (ينسن) (P. Jensen) أن المراد بـ (تلمون) جزيرة (قشم) ، على الرغم من ذهاب كثير الباحثين الى انها البحرين . وأما (مجان) فلانها في نظره أرض (عمان)^٣ .

وجاء اسم (ملوخا) (ملوخه) (Melluhha) واسم (تلمون) (Tilmun) في جملة أسماء الأرضين التي كان يحكمها ملك آشور (توكولتي نينورتا) (Tukulti-Ninurta) ، وقد نعت نفسه بـ (ملك كردونيشت) (Karduniash) وملك سومر وأكاد ، وملك سيبار (Sippar) وبابل ، وملك تلمون وملوخا ، وملك (البحار العالية) و (البحار التحتية) ، وقصد بجملة (البحار العالية) (بحيرة وان) على ما يظهر ، وتقع أعلى آشور ، وجملة (البحار التحتية) البحر الذي يقع أسفل مملكة آشور ، أي في جنوبها ، ويظهر انه أراد به الخليج العربي . ومعنى ذلك انه حكم منطقة واسعة امتدت رقعتها من (بحيرة وان) حتى الخليج ، وفي ضمنها (البحرين) والسواحل الواقعة الى غربها ، وهي سواحل (ملوخا) (ملوخا)^٤ .

دلون :

وبجرنا الحديث عن (مجان) و (ملوخا) الى الحديث عن موضع آخر ورد في النصوص (الأكديّة) و (السومريّة) و (الآشوريّة) ، هو موضع

١ Leemans, P. 12.

٢ Reall. I, Dritte Lieferung, S. 237, 240.

٣ المصدر نفسه .

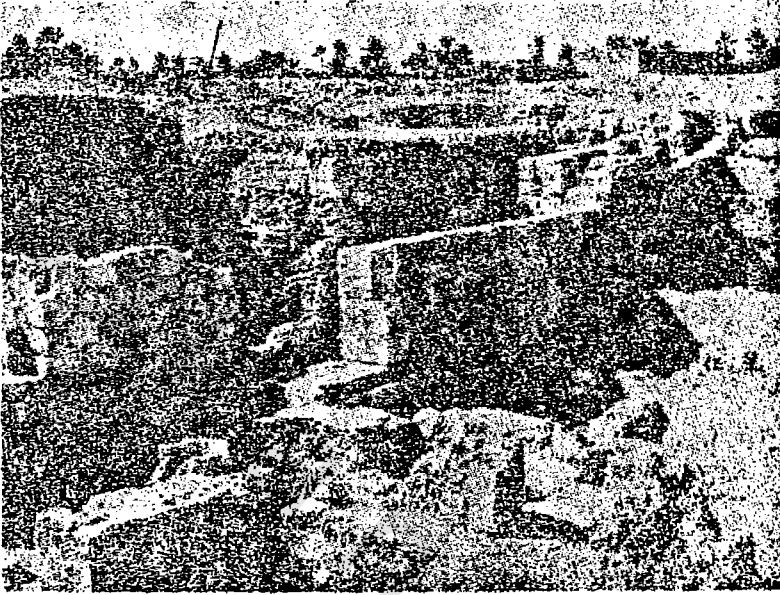
٤ Reall. I, Fünfte Lieferung, S. 374, Berlin, 1931.

(ني - تك) (Ni-Tuk) (Ni-Tuk-Ki) وهو (دلمون) (Dilmun) أو (تلمون) (Tilmun)^١ . وقد اشتهر بتمره وخشبه وبمعادنه مثل النحاس والبرنز ، وكانت فيه مملكة يرأسها ملوك^٢ . وقد رأينا ان (جوديا) (Gudea) كان قد أشار اليه والى موضع (مجان) ، وقد ذكر انه استورد الخشب منه ، كما رأينا اسم هذا المكان في ضمن الأماكن المذكورة في نص (سرجون) ، وقد ورد أيضاً في نص للملك (آشور بانبال)^٣ . وفي نص للملك (سنحاريب) (سنحريب) ، وقد ذكر هذا الملك انه بعد أن تمكن من (بابل) ودكها دكاً ، عزم على ضم (دلمون) الى مملكته ، فأرسل وفداً الى ملكها يخبره أمراً من أمرين : إما الخضوع لـ (آشور) وإما الخراب والدمار . فوافق ملك الجزيرة على الاعتراف بسيادة (سنحاريب) عليه ، وأرسل اليه بحزمة ثمينة^٤ . وكذلك كانت هذه الجزيرة في عداد الأرضين التي خضعت لـ (آشور بانبال)^٥ . ويظهر من النصوص أن (دلمون) كانت جزيرة تتمتع بقديسية خاصة ، فكانت تعدّ من الأماكن المقدسة ، وقد رويت عنها أساطير دينية ، وعبدت فيها آلهة تعبد لها أهل العراق ، مما يدل على الاتصال الثقافي المتين الذي كان بين العراق والبحرين . ووجد اسم الإله (انزاك) في كتابة عثر عليها في البحرين^٦ ، وتشير أسطورة (أنكي) وزوجه (ننخرساک) وملحمة (كلكمش) (جلجامش) (جلجامش) ، وأسطورة (أرض الحياة)^٧ وغير ذلك من القصص الشعبي ، الى هذا الاتصال الطبيعي الذي كان بين جنوب العراق والعروض :

وذكر (هومل) أن من كبار آلهة (دلمون) : (نخامو) (نخامون) ، وهو إلهة أنثى^٨ . وأشار أيضاً الى نص أرخ في السنة السابعة من سني (فيلبس)

- | | |
|--|---|
| O'leary, P. 46. | ١ |
| Burrows, Tilmun, Bahrain, Paradise, in <i>Orientalia</i> , Heft, 2, <i>Scriptura Sacra et Monumenta Orientis Antiqui</i> , Roma, 1928, P. 5, 30. | ٢ |
| Luckenbill, <i>Ancient Records of Assyria and Babylonia</i> , II, 41, 76, 92, 185. | ٣ |
| Luckenbill, <i>Ancient</i> , II Sect. 438. | ٤ |
| مجلة سومر ، الجزء الثاني من المجلد الخامس ، ١٩٤٩ ، (ص ١٣٧) . | ٥ |
| Burrows, P. 30. | ٦ |
| S.N. Kramer, in <i>BOASOOR</i> , Num. 96, (1944), P. 18. | ٧ |
| Hommel, <i>Grundriss</i> , I S. 130. | ٨ |

(Philippus) (فيلفوس)^١ وتقابل سنة (٣١٧ ق. م.) ، وهو نص (بابلي) ورد فيه اسم أرض دعيت (برديسو) (Pardesu) ، وتقابل هذه الكلمة كلمة (Pildash)^٢ (Pardes) بالعبرانية^٣ و (فردوس) بالعريسة ، وتقع في



معبد من حضارة ديلمون (٣٠٠٠ ق. م)
من نشرة دائرة الإعلام : حكومة البحرين

القسم الشرقي من جزيرة العرب، بين (بحان) و (بيت نپسانو) (Bit Napsanu) التي هي جزيرة (دلمون)^٤ . وقد حملت هذه التسمية بعض العلماء على التفكير في أن ما ورد عن (جنة عدن) في التوراة ، إنما أريد به هذه المنطقة التي تقع في القسم الشرقي من جزيرة العرب وعلى سواحل الخليج^٥ .

١ « فيلفوس » ، الطبري (١ / ٦٩٤ ، ٧٣٨) ، « طبعة ليدن » ،

٢ Hommel, Grundriss, I, S. 166.

٣ Enc. Bibl. P. 3569.

٤ Hommel, Grundriss, I, S. 250.

٥ المعرفة النظرية التي ذكرها علماء التوراة عن « جنة عدن » يستحسن مراجعة: Enc. Bibl. P. 3574.

وقد ذهب أكثر العلماء الى أن أرض (دلون) هي جزيرة البحرين ، أو جزيرة البحرين والساحل المقابل لها ، وذلك لأن المسافة التي ذكرت في نص (سرجون) تكاد تساوي بعد البحرين عن فم نهر الفرات ، وهذا مما حملهم على القول إن موضع (دلون) هو جزيرة البحرين . ثم إن الصلات بين العراق والعروض كانت قوية ، والأرض هي على امتداد واحد ، فلا موانع ولا حواجز ، ولهذا رجحوا كون (دلون) هي البحرين^١ .

وعرفت (دلون) أو البحرين في الكتب (الكلاسيكية) باسم (تيلوس) (Tylus) ، ويرى بعض الباحثين أنه حرف عن (تلون) (Tilwun) ، وهو (Dilmun) في الأصل ، وورد معه اسم (أرادوس) (Aradus)^٢ . وقد ذكر (بلينيوس) (Pliny) أن جزيرة (Tylos) (Tylus) معروفة بالؤلؤ ، وبها مدينة عرفت بهذا الاسم كذلك . وعلى مقربة منها جزيرة صغيرة . وهي تقابل الساحل الذي يسكنه الـ (الجرهابيون) (Gerrhaens) ، نسبة الى مدينتهم (جرها) (Gerrha)^٣ . وينطبق وصف (بلينيوس) لجزيرة (Tylos) (Tylus) على جزيرة البحرين كل الانطباق :

وقد ورد في بعض نصوص (أور) (Ur) أنها صدرت الصوف في السفن الى (تلمون) (Tilmun)^٤ ، كما أشير الى قوافل كانت تذهب من (أور) الى هذا الموضع ، وقد عادت بأرباح كبيرة^٥ . ويظهر من هذه النصوص ومن نصوص أخرى أن الاتجار بين (تلمون) و (أور) كان متصلاً مستمراً ، وأن جماعة من تجار (أور) كانوا يرسلون قوافل من السفن الى (تلمون) للاتجار ، تحمل الى هذا الموضع ما بها حاجة اليه من حاصلات العراق ومن الأموال الواردة الى العراق من الأسواق الخارجية مثل ايران وبلاد الشام وآسية الصغرى وربما من اليونان وأسواق أوروبا ، فتيبها هناك ، وربما يشتريها تجار (تلمون) أو غيرهم

P.B. Cornwall, in BOASOOR, 1946, P. 3. ff. The Geographical Journal, CVII, Nos, I, and 2, Febr. 1946, 28-50, The National Geographical Magazine, April, 1948.

Enc. I, P. 584. ٢

Glaser, Skizze, II, S. 74. ٣

UET III, 1507, Leemans, P. 22. ٤

UETV 526, UETV 678, Leemans, 25, 26, 27, 28, 29. ٥

لتصديرها الى أماكن أخرى بعيدة مثل الهند، أو إفريقية ، أو قلب جزيرة العرب .
فإذا انتهى هؤلاء التجار من بيع تجارتهم ، يعودون ببضائع من البحرين ، هي
في الغالب من تجارة الهند أو إفريقية ، في جملتها المعادن والأخشاب والعطور
والأشياء النفيسة الأخرى التي كانت تباع بأثمان باهظة ، فيربح هؤلاء التجار من
هذه التجارة ربحاً كبيراً .

وقد كان تجار (تلمون) يأتون بسفنهم الى (أور) يحملون ما استوردوه
من تجارات من الهند أو إفريقية أو جزيرة العرب ، لبيعه في أسواق (أور) ثم
يعودون بسلع أسواق أور ، من حاصل العراق وما جلب الى أور من الخارج :
وقد كان هؤلاء التجار يدفعون العشر ، ضريبة عن هذا الاتجار^١ .

وقد عثر على نصوص تبين من دراستها أنها عقود واتفاقيات عقدت بين تجار
للأتجار بين (أور) و (تلمون) ، وبينها وثائق تتعلق بتجارة تجار قاموا
بأنفسهم بالاتجار مع (تلمون) . ويظهر من دراستها ان اولئك التجار كانوا
يستوردون النحاس بمقياس واسع من (تلمون) ، لأنه مطلوب في العراق ،
ولأن أسعاره هناك أرخص بكثير من سعره في أور ، وكان في جملة السلع التي
استوردوها من (تلمون) الفضة و (عين السمك) ، أي اللؤلؤ على ما يظن^٢ .

ولا بد أن يكون هذا النحاس من جملة المواد المستوردة من مواضع أخرى
الى (تلمون) . وقد تكون أرض عمان في جملة الأماكن التي أمدت هذا
الموضع به . فقد عثر في عمان على آثار منجم عند مكان يسمى (جبل معدن)
يقع على مسافة (٧٥) ميلاً الى الشمال الغربي من الجبل الأخضر^٣ . فلعل هذا
المنجم القديم كان مستغلاً في تلك الأيام يستخرج النحاس منه :

ولقد عثر في البحرين على مقابر قديمة كثيرة كما ذكرت قبل . وقد وجد
بعد فتحها أنها خططت على نمط واحد ، وتتجه مداخلها نحو الغرب ، وذلك
مما يبعث على الظن ان لهذا الاتجاه علاقة بشعائر دينية عند القوم أصحاب المقابر :
وقد وجدت فيها كما سبق أن قلت عظام بشرية ، منها جمجمتان بشريتان ،

Leemans, P. 31. ١

Leemans, P. 48, 50. ٢

Leemans, P. 122. ٣

وعظام حيوانات يظهر انها دفنت وهي حية مع أصحابها وفق العقائد الدينية التي كانوا يدينون بها . وعثر على مصوغات من الذهب وعلى خرز وأحجار زينة : غير ان هذه الأشياء لم تعط الباحثين حتى الآن فكرة يقينية عن تأريخها وعن أيام أصحابها ، والرأي الشائع بين الذين عنوا بدراساتها وفحصها انها مقابر (فينيقية) ، لأن البحرين كانت الموطن القديم للفينيقيين^١، وان لم يصدر حتى الآن رأي جازم في هذا الشأن :

وقد عثر كما ذكر (ولسن) (Wilson) في مقبرة من هذه المقابر على حجر أسود مكتوب بكتابة تشابه الكتابات المسارية^٢ .

ويستشهد العلماء الذين يذهبون الى أن تلك المقابر هي مقابر (فينيقية) ، وان سكان البحرين هم فينيقيون ، بما ذكره (سترابون) من أن في جزيرتي (Tylus) (Tyrus) و (Aradus) ، مقابر تشابه مقابر الفينيقيين ، وان سكان الجزيرة يرون ان أسماء جزائرهم ومدنهم هي أسماء فينيقية^٣ .

وقد قامت بعثة آثارية دانماركية بالبحث عن الآثار في البحرين ، وقد نبشت الأرض في ثلاث مواضع لاستنطاقها والاستفسار منها عن ماضيها القديم . وقد تأكدت البعثة من أن الأماكن التي نقبت فيها تعود الى مستوطنات العصر البرنزي . وكان في جملة ما عثر عليه تماثيل صغيرين لثورين ، وفخاراً ، وأشياء أخرى .

وقد عثر المنقبون على آثار معابد في مواضع من جزر البحرين ، تبين من فحصها انها خربت مراراً ، وان الأيدي لعبت بها ، وقد انتزعت أحجارها للاستفادة منها في تحويلها الى أبنية جديدة . وفي جملة ما عثر عليه في أنقاضها بعض التماثيل وبعض الأحجار المثقوبة ، وكانت مذابح تذبح عليها القرابين ، فتسيل دماؤها من هذه الثقوب الى حفرة تتجمع فيها الدماء . وقد تبين أن هذه المعابد ، هي من معابد العصر النحاسي والعصر البرنزي ، وأن تأريخ بعضها يعود الى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد^٤ .

Enc. Vol. I, P. 585, Cornwall, in Geogr. Journal., CVII, P. 36, 142, 1946, Wilson, ١
The Pers. Gulf. P. 29, Bent, The Bahrain Islands, In Roy. Geogr. Soci. 12, London, 1890.

Wilson, P. 31. ٢

Enc. I, P. 585, Wilson. P. 29, 30, Strabo, XVI, III, 3, 4, Stuhlmann Der Kampf S. 195 ٣

Belgrave, P. 53. ٤

ويرى كثير من الباحثين في التاريخ القديم ان أصل الفينيقيين الساكنين في (فينيقية) بلبنان هو من هذه المنطقة ، أي من البحرين والساحل المقابل له . وقد ذكر (هيرودوتس) ان المشهور في أيامه ان أصلهم من البحر الأحمر^١ . ولكن العلماء يرون انه قصد الخليج العربي (Sinus Persicus) لا البحر الأحمر .



سلام تؤدي الى معبد من معابد « باربار » في البحرين
من تصوير شركة نفط البحرين

ويذكرون أن الفينيقيين تركوا ديارهم هذه ، وهاجروا منها سالكين الساحل ، ثم وادي الفرات ، ومن وادي الفرات يّتموا لبنان ، حيث استقروا على الساحل في المنطقة التي عرفت باسمهم ، أي (فينيقية) (Phoenicia)^٢ .
اننا لا نستطيع أن نتحدث الآن عن حكومة العروش أو حكومات العروش

١ Herodotus, I, VII, 89, Hastings, P. 725.

٢ Hastings, P. 725.

في عصور ما قبل الميلاد : فما لدينا من أخبار هو نزر يسير : نعم ، من الجائز أن يكون أهل هذا الساحل قد كونوا لهم حكومة واحدة ، ومن الجائز أن يكونوا قد أقاموا حكومات عديدة ، حكومات مدن ، أو حكومات قبائل ، على نحو ما نعرفه عن هذه المنطقة الى عهد ليس يبعد : وكما نرى في مشيخات وإمارات الخليج في هذا الزمان . ومن الجائز أن يكون أهل العراق قد أخضعوا ذلك الساحل وأقاموا حكومات فيه . ونحن لا نستطيع التحدث الآن عن (أرض البحر) (Mat-Tamtim) ، هل كانت حكومة قوية عاشت في الألف الثالث قبل الميلاد ، حكمت كل الساحل الى أن غزتها حكومات من العراق أو كانت إمارة أو (مشيخة) في اصطلاح هذا اليوم ؟ ولكن ما نراه من سرعة تغلب الأكاديين والسومريين والآشوريين على أهل الساحل ، يشير الى أنهم لم يكونوا أصحاب حكومة قوية وانهم انما كانوا في أغلب الظن رجال بحر وتجارة ، لهم حكومات صغيرة أي إمارات و (مشيخات) ، وهذا يفسر لنا سر استسلامها للحكومات العراقية بسهولة ويسر وأدائها الجزية لها .

وهناك من يزعم أن (السومريين) إنما جاءوا الى العراق من البحرين ، جاءوا اليه في حوالي السنة (٣١٠٠ ق. م) . وقد عرفت البحرين باسم (دلمون) (Dilmun) في نصوص السومريين وقد كانت البحرين محطة مهمة ينزل فيها الناس في هجراتهم نحو الشمال ، كما كانت محطة للتجار مع الهند والبلاد البحرية الأخرى . والرأي الغالب اليوم بين علماء التاريخ القديم أن الكلدانيين الذين سكنوا الأقسام الجنوبية من العراق ، إنما جاءوا الى هذه الأرضين من العربية الشرقية ، من ساحل الخليج ، وذلك في أواخر الألف الثانية قبل الميلاد ، ثم زحفوا نحو الشمال حتى وصلوا الى بابل ، وقد وجد بعض الباحثين كتابات كلدانية تشبه حروفها الحروف العربية الجنوبية القديمة ، أي حروف الهند ، واستدلوا من ذلك على أن أولئك المهاجرين الذين ربما كان أصلهم من عمان هاجروا الى ساحل الخليج ، ثم انتقلوا منه الى العراق ، ونقلوا معهم خطها القديم ، الذي تركوه بعد ذلك حينما استقروا في العراق ، لتأثرهم بالمؤثرات الثقافية العراقية . والنماذج القديمة من كتاباتهم التي عثر عليها الباحثون ،

وإن لم نتحدث عن أصل أصحابها ، إلا أن خطها المذكور يشير الى أنه من العربية الشرقية ١ .

وقد ذهب (سترابو) الى أن (Gerrha) التي تقع عند (العتير) كانت في الأصل موضعاً للكلدانيين (Chaldaer) ، وكانت ذات تجارة مع أهل بابل مزدهرة ٢ .

على كل فالذي يتبين لنا من الأخبار السومرية والآكدية والآشورية وغيرها أن أهل العربية الشرقية كانوا قد كوّنوا لهم حكومات مدن وذلك قبل الألف الثالثة قبل الميلاد ، صرفت جل عنايتها نحو التجارة وركوب البحار للأنجار ، والاستفادة من البحر لاستخراج ما فيه من سمك و (لؤلؤ) ، واستغلال ما في أرضها من ماء للزراعة عليه . والطبيعة هي التي فرضت على أهل هذا الساحل هذا الشكل من الحكم ، لأنها لم تمنحهم أمطاراً وافرة تمكنهم من استغلال أرضهم ، ولم تعطهم أنهاراً كبيرة طويلة تساعد في نشوء العمران عليها وتكوين حكومات مطلقة ، كما في العراق أو في وادي النيل ، لذلك انحصرت السكنى في مواضع متناثرة من الساحل ، فصعب على السكان تكوين حكومة مطلقة واحدة يكون الحكم فيها حكماً مركزاً في أيدي الملوك ، لتباعد المدن بعضها عن بعض ، لذلك صار الحكم فيها حكم مدن ، على المدينة (ملك) أو رئيس يدير شؤون الجماعة ، إلا أن هذا الوضع جعلهم عرضة للغزو اذ طمعت فيهم الحكومات الكبيرة ، كالذي رأيناه من غزو السومريين والآكديين لهم ، وكالذي سنراه فيما بعد من غزو الآشوريين واليونانيين وغيرهم لهذه الأرضين .

لقد استورد السومريون والآكديون الذهب والحجارة الصالحة لصنع التماثيل ، والأخشاب لبناء المعابد ، والأشياء النفيسة الأخرى من (دلون) ومن (ملوخا) ومن (مكان) (مجان) ، وهي أماكن يرى كثير من العلماء أنها في العربية الشرقية ، وقد تكون تلك المواد من الأموال المستوردة من الهند . على كل حال ، فقد توسّطت تلك الأماكن في استيرادها وإيصالها الى العراق ، بفضل مهارة سكانها في تسخير البحر وتيسيره ، وقد ترك الفتح العراقي فيها أثراً كبيراً

W. F. Albright, in BASOOR, Num. 128, 1952, P. 39, "the Chaldaean Inscriptions in Proto-Arabic Script".

Strabo, XVI, 7, 66, Grohmann, Arabien, S. 257.

يظهر في الآثار العراقية التي استخرجت من باطن الأرض وفي فن العربية الشرقية المتأثر بالفن العراقي .

وقد أثر انتقال ثقل الحكم من (أور) ومن القسم الجنوبي من العراق الى وسطه تأثيراً كبيراً في ثراء (أور) واقتصادها ، فقد كان في هذه المدينة تجار كونوا لهم شركات بحرية لنقل التجارة بين هذه المدينة ومدن الخليج ، وربما الى



رأس ثور عُثرت عليه البعثة الدانماركية
في « باربار » بالبحرين

مدن الهند أيضاً . وقد أثر ذلك فيهم بصورة خاصة حين وضع (حمورابي) أنظمة تحدد الانجار البحري في ذلك العهد^١ : وقد افتخر ملك (آشور) ، الملك (توكولتي - نورتا) (Tukulti-Ninurta) (١٢٤٤ - ١٢٠٨ ق. م .) ، بأنه وسّع حدود مملكته في الجنوب ، بأن استولى على (سومر) و (أكّد) ، وثبت حدودها الجنوبية عند (البحر الأسفل حيث مشرق الشمس)^٢ . ويعني بذلك الخليج ، غير انه لم يشر الى الأرضين التي استولى عليها في هذا الخليج :

هذا كل ما نعرفه اليوم عن تأريخ العرب في العهود القديمة : وهو كما رأينا

1 Ancient Iraq, P. 184, Leemans, The Old Babylonian Merchant, Leiden, 1950, P. 78-95, Foreign Trade in the Old Babylonian Period, Leiden, 1960, A. L. Oppenheim, JAOS, S. 74, 1954, P. 15, 17.

2 Ancient Iraq, P. 217, D.D. Luckenbill, Ancient Records, I, P. 145.

نزر يسير، أخذ من بحوث أفراد ومن بحوث عرضية حصل عليها عند البحث عن البترول ، وأملنا في زيادة علمنا بتلك العهود هو في قيام بعثات علمية بالبحث عن الآثار والعاديات لاستنطاقها عن أحوال تلك العهود . وليس أمامنا بعد هذه المقدمة الا الدخول في العصور المعروفة التي وصل إلينا بعض أخبارها في الكتابات وفي الموارد الأخرى .

وقد كان لأعمال الحفر التي قامت بها بعثة (دانماركية) أرسلها متحف ما قبل التاريخ في (Aarhus) بالدانمارك فضل كبير في الكشف عن صفحات مطوية من تاريخ سواحل الخليج . فقد تمكنت هذه البعثة من العثور على آثار من عهود ما قبل العصور التاريخية في البحرين وقطر و (أبي ظبي) ، كما تعقبت آثار السكنى القديمة في البحرين وعمان وبقية الساحل ، وعثرت على معابد قديمة مثل معبد (بربر) (باربار) في البحرين و (تل قلعة البحرين) في البحرين ، وتوصلت بذلك الى نتائج قيمة جداً رجعت بتاريخ هذه البلاد الى عصور بعيدة جداً عن الميلاد ، وكان من أعمالها الكشف عن آثار (فيلكا) في الكويت .

وقد تبين من دراسة البعثة الدانماركية لآثار معبد (بربر) (باربار) في البحرين ، انه معبد عتيق : يرجع عهده الى حوالي السنة (٣٠٠٠ ق.م) أو أقدم من ذلك ^١ . وأنه كان معبداً كبيراً به (بئر) مقدسة يستقي منها المؤمنون للتبرك بمائها ولتطهير أجسامهم ولإجراء الشعائر الدينية، ويلاحظ أن الباحثين تمكنوا من العثور على آبار مقدسة في بيوت العبادة الكبرى عند الجاهليين ، وهذا يدل على أن معابدهم الكبيرة كانت ذات آبار مقدسة يشربون منها للتبرك والشفاء ولتطهير أجسامهم ، شأنهم في ذلك شأن أهل مكة و (زمزم) .

لقد وجدت هذه البعثة تحت أنقاض (تل القلعة) في البحرين بقايا مدينة قديمة يمكن أن تعدّ من مبدن الجزيرة الكبيرة أو عاصمتها ، يرجع تاريخها الى حوالي السنة (٢٥٠٠ ق.م) . وكانت مسورة بسور ارتفاعه (١٦) قدماً عن سطح الأرض ، بني بالحجارة ، وقد بنيت به قلعة لحمايته من هجوم الأعداء ، وعثر على باب المدينة، وقد زينت ببناء مربع الشكل . ويقال ان الملك (سرجون) الأكادي كان قد أمر باحراقها سنة (٢٣٠٠ ق.م) ، حتى صارت ركاماً ،

وبقيت على ذلك طوال أيام (الكاسيين) (الألف الثانية قبل الميلاد) ، حتى أعيد بناؤها في القرن السابع قبل الميلاد ، فازدهرت وتوافد عليها السكان ، وأخذت تتاجر مع العراق . وكانت مزدهرة في أيام (الأخمينيين) و(السلجوقيين) ، إلا أن النحس حلّ بها بعد سقوط الحكومة السلجوقية ، ولازمها ولم يتركها حتى هجرها الناس^١ .

وفي جملة ما عثر عليه تلك البعثة آثار مدينة يرجع عهدها الى منتصف الألف الأولى قبل الميلاد ، في مكان يعرف بـ (مرب) في القسم الغربي من (قطر)^٢ .

١ P.V. Glob, Kuml, 1957, 1958, 142, 144, T.G. Bibly, Kuml, 1957, 162.

٢ Glob, Kuml, 1959, 238, Grohmann, Arablen, S. 260.